# شـــرح

# كـشف الشبهـات

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِمُؤَسَّسَةِ مَعَالِمِ السُّنَنِ

الطبعة الأولى (١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م)

معالم السنن

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

المملكة العربية السعودية-الرياض-حي الجزيرة-
شارع طلحة بن عبيد الله-مبنى معالم السنن.
هاتف: 00966114450458 – فاكس: تحويلة 105
جوال: 00966552749555 – البريد الالكتروني:
– shkhudheir.com
b00ks@malemassunan.com

يمكنكم طلب الكتب
عبر متجرنا الإلكتروني

حيثما كنت يصلك طلبك

dar.taibagreen123
dar.taiba
@dar_tg
dar_tg
dartaibagreen@gmail.com
yyy.01@hotmail.com
012 556 2986
055 042 8992
مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

# شـــرح
# كـشف الشبهـات


لـمعالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء سابقاً



دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع | علم ينتفع به

معالم السنن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فأصل هذا الكتاب دروس ألقيت على الطلاب وسجلت ثم قام المكتب العلمي بـ معالم السنن - بعناية من أمينه العام الشيخ الدكتور إبراهيم بن محمد الفوزان - بتفريغ المادة العلمية ومراجعتها من قبل كبار الطلاب المختصين ولم يقصد التأليف والنشر من الأصل الذي تكون فيه المادة محررة من المصادر بحروفها ولعل المراجعة النهائية تكون بعد صدوره وحصر الملحوظات عليه وتلافيها والله ولي التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عفا الله عنه

# تقديم

معالي الشيخ الدكتور

## عبد الكريم بن عبد الله الخضير

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

**أما بعد:**

فإنَّ أصل هذا الكتاب دروس ألقيت علىٰ الطلاب وسجِّلت، ثم قام المكتب العلمي -معالم السُّنن- بعناية من أمينه العام الشيخ الدكتور إبراهيم بن محمد الفوزان بتفريغ المادة العلمية ومراجعتها من قِبَل كبار الطلاب المختصِّين، ولم يُقصد التأليف والنشر من الأصل الذي تكون فيه المادة محررةً من المصادر بحروفها، ولعل المراجعة النهائية تكون بعد صدوره وحصر الملحوظات عليه وتلافيها، والله وليُّ التوفيق، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

**عبد الكريم بن عبد الله الخضير**

عفا الله عنه

# كلمة
# مؤسَّسة معالم السنن

الحمد لله الذي رفع بالعلم أهله واجتباهم، وأورثهم علم الكتاب وبه اصطفاهم، وصلَّىٰ الله وسلم علىٰ نبِّينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه من مبدئهم إلىٰ منتهاهم، وعلىٰ التابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين واقتفاهم.

**أما بعد:**

فإن ممَّا لا يخفىٰ علىٰ أحدٍ ما للعلماء من منزلة عليَّة، ومكانة سنيَّة، فهم ورثة الأنبياء، ونجوم السَّماء، وزينة الدُّنيا، وبِهم قوام الدِّين، روىٰ أبو الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلىٰ الجنة، وإن الملائكة لَتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتىٰ الحيتان في الماء، وإن فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر علىٰ سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ**».

ومن العلماء الذين بذلوا وقتهم في تعليم العلم ونشْرِه فضيلةُ الشيخ العلامة **عبد الكريم بن عبد الله الخضير** -حفظه الله ومتَّع به-، والذي عرفه أهل العلم وطلبته بالتفنن والاتساع، وجودة التحقيق، وسعة الاطلاع.

وقد وفَّق اللهُ الشيخَ منذ زمن طويل للتصدي لشرح كتب أهل العلم في مختلف الفنون والتعليق عليها، فشرحها بشروح جامعة نافعة، أثراها سعة اطلاع الشيخ

ومعرفته بمكنونات الكتب -لا سيما المطولات منها-، واختلاف طبعاتها؛ مما جعل لهذه الشروح رواجًا بين طلاب العلم، علىٰ اختلاف مستوياتهم.

كما هيَّأ الله سبحانه مؤسسةَ «معالم السنن» لخدمة علم الشيخ ونشره منذ تأسيسها عام ١٤٣٣؛ بشتىٰ الطرق المتاحة، وها هي -بفضل الله- تبشِّر طلاب العلم ومحبِّيه بطباعة كتاب: «**شرح كشف الشبهات**».

**ومما يحسن التَّنبيه عليه** أن هذا الكتاب هو في الأصل شرحٌ صوتيٌّ، تمَّ تفريغه، وترتيبه، وخدمته خدمة علميَّة بعد إذن الشيخ بذلك؛ ونظرًا للصعوبة البالغة في تحويل النتاج الصوتيِّ إلىٰ قالَب الكتب المطبوعة؛ ولاستشعار المؤسسة المسؤوليةَ المنوطةَ بها؛ وطلبًا للإتقان دون تكلُّفٍ، رسمت المؤسَّسة لنفسها خطة مجوَّدة -أقرها الشيخ حفظه الله-؛ لتخرج كتبُهُ بجودةٍ عاليةٍ، تُرضي -بإذن الله- طلَّاب العلم ومحبيه، **وقد كانت مراحلُ العمل على كتب الشَّيخ وفق الآتي:**

- **الأولىٰ:** صفُّ المفرَّغ من التسجيل الصوتي ومطابقتُه.
- **الثانيةُ:** العملُ علىٰ ترتيب المادَّة بما يتناسب مع الكتاب، مع عدم التصرف في كلام الشَّيخ، وعند وجود ما يشكل من المسائل يتم عرضُه علىٰ الشيخ حفظه الله.
- **الثالثة:** تخريج الأحاديث والآثار، وعزو الأقوال والمذاهب إلىٰ أصحابها، والخدمة العلمية للكتاب.
- **الرابعة:** إضافة عناوين فرعية بين معكوفتين هكذا: [...]؛ ترتيبًا لمسائل الكتاب، وتسهيلًا للوصول إلىٰ المراد.
- **الخامسة:** المراجعة اللغوية للكتاب والتأكُّد من سلامة النص من الأخطاء النحوية والإملائية التي قد تحدث أثناء العمل.

- **السادسة:** مراجعة الكتاب من قبل متخصص؛ للتَّأكُّد من سلامة المادة العلميَّة بعد العمل عليها من قبل الباحثين.
- **السابعة:** إجازة الكتاب للطِّباعة من قبل مستشاري المؤسَّسة العلميين.

وفي هذا المقام البهيج لطباعة هذا الكتاب، نشكر الشَّيخ - حفظه الله - علىٰ ما قدَّمه، ولا يزال يقدِّمه لطلاب العلم، أعظم الله له المثوبة والأجر، وبارك في علمه وعمله وعمره، ونفع بعلمه الإسلام والمسلمين.

ونثَنِّي بالشكر لفريق العمل في مؤسسة «معالم السنن» علىٰ الجهد الكبير الذي بذلوه لإخراج الكتاب.

ونثلِّث بشكر المستشارين العلميين في المؤسَّسة، والمراجعين المختصِّين، وكلِّ مَنْ ساهم وشارك في إخراج الكتاب، فجزاهم الله خيرًا، وبارك في أعمالهم.

ونسأل الله تعالىٰ التَّوفيق والسداد، وندعو كافَّة أهل العلم وطلَّابَه حيثما كانوا إلىٰ مدِّ يد النَّصيحة، والمسارعة بإبداء الملاحظات والاقتراحات علىٰ ما قد يقع من أخطاء فيما طُبِع ويُطبَع من شروح الشَّيخ؛ فالمرء كثير بإخوانه، واللهُ المسؤولُ أن يباركَ في الجهود ويتقبَّلها.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

# المقدمـــة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن هذا شرح لكتاب: «كشف الشبهات» للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كتاب في غاية الأهمية للطالِب الموحِّد والمسلم المحقِّق لاسيما في هذا الظرف الذي نعيشه، والذي كثرت فيه الشُّبَه وعمَّت وانتشرت حتىٰ وصلت إلىٰ قعر بيوت عوامِّ المسلمين من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وبالأخص القنوات الفضائية التي تعمل علىٰ بثِّ السموم، والتي لم ينجُ منها إلا من سلَّمَه الله ونجَّاه، وما أقلَّهم! أما الكثرة الكاثرة -مع الأسف الشديد-؛ فقد تساهلوا وتهاونوا في إدخال هذه الوسائل، وفيها من نشر الشُّبَه والفساد ما يعجز عنه الوصف، ولذا تأكَّد في حق أهل العلم وطلابه أن يهتموا بمثل هذا الكتاب، وأن يعتنوا بكتب الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ بدءًا من «الأصول الثلاثة» التي أدركنا الناس وهم يلقنونها العوام في المساجد. ومعرفةُ هذه الأصول من أوجب الواجبات علىٰ المكلَّف، فهي التي يُسأَل عنها في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فإذا لم يتعلمها ولم يتقنها ويحققها كان علىٰ خطر عظيم، وبعض الناس يقولها تقليدًا لا يعرف معناها، ولا يعمل بمقتضاها، فيُخشىٰ أن يكون ممن يقول: هاه هاه لا أدري! سمعت الناس يقولون فقلت[١]. نسأل الله العافية.

(١) إشارة إلىٰ ما أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر (٤٧٥٣) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرج البخاري (٨٦) ومسلم (٩٠٥) نحوه من حديث أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ثم علىٰ طالب العلم أن يُثني بكتاب: «القواعد الأربع»، ثم كتاب: «التوحيد»، ثم هذا الكتاب الذي اشتمل علىٰ كشف بضع عشرة شبهة، وقد كان محل عناية فائقة من أهل العلم، وهو من أوائل ما طُبِع ضمن مجموعة التوحيد؛ حيث طُبِع في الهند منذ ما يزيد علىٰ مائة وعشرين عامًا، وأوَّل ما عُنِيَ به الملك عبد العزيز؛ إذ إنه بعد ما دخل مكة أمر بطبع مجموعة التوحيد، وفيها هذا الكتاب، بل يمكن أن يقال: إنه أول كتاب أمر بطبعه في مكة المكرمة في مطبعة أم القرىٰ، ثم بعد ذلك أمر بطبعه في مطبعة المنار بإشراف الشيخ محمد رشيد رضا ضمن مجموعة التوحيد -أيضًا-، ثم تتابعت طبعات مجموعة التوحيد، وفي ضمنها هذا الكتاب البالغ الأهمية ثم طُبِعَ مفردًا بتحقيق مجموعة من أهل العلم منها: طبعة بتحقيق الشيخ حامد الفقي في مطبعة أنصار السنة، وطبعة الشيخ محمد منير الدمشقي في المطبعة المنيرية منذ سبعين عامًا أو أكثر. واعتنىٰ به أهل العلم شرحا وتعليقًا، وممن شرحه: الشيخ محمد بن إبراهيم المفتي الأسبق، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان والشيخ عبد الرحمن البراك وآخرون، ومن أطول ما رأيته من الشروح مع أنه لم يتيسر لي قراءته شرح الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وهو مطبوع فيما يزيد علىٰ أربعمائة صفحة.

وهذا الكتاب مبني علىٰ كتاب التوحيد، والذي يجدر بطالب العلم أن يقرأه ويفهمه من خلال الشروح المطبوعة والمسجلة ثم بعد ذلك يقرأ هذه الشبه التي يوردها المخالفون.

وسمىٰ الإمام كتابه هذا بـ«كشف الشبهات»، والكشف في اللغة: رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه[(١)]، والشبهات: جمع شبهة، وهي ما يشتبه علىٰ عامة الناس

(١) ينظر: لسان العرب، (٩/ ٣٠٠).

بالحق، كما قرر ذلك شيخ الإسلام في مجموع الفتاوىٰ[١]، فهذه الشبهات إذا ألقيت علىٰ العامة اشتبهت عندهم بالحق؛ لأن مَن يروِّجها يسوقها مشفوعة بأدلة، وعادة أهل الأهواء في الاستدلال أنهم يأخذون المتشابه ويتركون المحكم!

وهذه الشبهات التي أوردها الإمام المجدد هي علىٰ نوع من التوحيد، وهو توحيد العبادة، وهو الذي أولاه الشيخ محمد بن عبد الوهاب جل اهتمامه؛ لأنه هو الذي وقع فيه الخلاف بين الرسل ومن أُرسلوا إليهم، وأما توحيد الربوبية؛ فقد كانوا يُقرُّون ويعترفون به، كما سيأتي في كلام الشيخ ﷺ، والأمر المقَر به لا يحتاج إلىٰ عناء في إثباته أو تقريره، وإنما يجهد المرء في إثبات ما تكون الخصومة فيه، ولذا يجب علىٰ طالب العلم الاعتناء بهذا الكتاب، وأن يُقرر ويُدرس في المدارس النظامية والمساجد، وحلق التعليم، وأن يولىٰ عناية فائقة لاسيما وأن الفِطَر بدأت تتغير وأن بعض الناس قد اجتالتهم شياطين الإنس والجن!

ومما له صِلَة بدعوة الشيخ ﷺ إلىٰ تحقيق التوحيد، وتخليصه وتمحيصه من شوائب الشرك والبدع، ما جاء في تفسير الآلوسي محمود الكبير[٢] صاحب تفسير «روح المعاني»، وهو تفسير جامعٌ، فيه فوائد ونفائس، لا توجد عند غيره، وأثره في تفسيره ظاهر بما ينقله في أواخر تفسير الآيات من التفسير الإشاري.

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ، (٣/ ٦٢).

(٢) هو: الشيخ أبو الثناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي الحسيني، ولد في بغداد، وأخذ العلم عن شيوخها، له عدة كتب، أبرزها تفسيره الكبير: «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، توفي في بغداد سنة (١٢٧٠هـ). والأسرة الآلوسية من الأسر العلمية في بغداد، ونسبتها إلىٰ جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات، ومن أبرز أعلامها الشيخ محمود (الكبير) صاحب التفسير، ومن أبرز أعلام هذه الأسرة – أيضًا – محمود شكري (الحفيد) بن عبد الله بن أبي الثناء المتوفىٰ سنة (١٣٤٢هـ)، له عدة كتب؛ منها: «فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية»، و«غاية الأماني في الرد علىٰ النبهاني»، وغيرهما. ينظر: الأعلام للزركلي، (٧/ ١٧٢)، (٧/ ١٧٦)، (٨/ ٤٢).

وهو غير محمود شكري الآلوسي السلفي المحقِّق شارح مسائل الجاهلية[١]، والذي رد علىٰ النبهاني بكتاب كبير اسمه: «غاية الأماني في الرد علىٰ النبهاني»[٢]، وأما صاحب التفسير؛ فهو صوفي نقشبندي[٣]، وهو عالِم، وله يد وباع في العربية، وفي المعقول؛ لكنه ضعيف في المنقول، كعادة من يهتم بالعقليات، ويحيد عن الصراط المستقيم؛ فإنه لا يوفَّق إلىٰ أن يكون من أهل الحديث.

يقول الآلوسي في تفسيره: «قد نقل لي من أثق به أن رجلين من أهل نجد قبل ظهور أمر الوهابي فيما بينهم، بينما هما في مزرعة لهما؛ إذ مر بهما طائر طويل الرجلين، لم يعهدا مثله في تلك الأرض، فنزل بالقرب منهما، فقال أحدهما للآخر: ما هذا؟ فقال له: لا ترفع صوتك، هذا ربنا، فقال له معتقدًا صدق ذلك الهذيان: سبحانه، ما أطول كراعيه، وأعظم جناحيه!»[٤].

وقد أورد هذا الكلام في سياق قصة فرعون حينما قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]؛ فجاء به تبعًا لذلك، وأن هذا شرك في الربوبية، كما ادعىٰ فرعون الربوبية.

وهذه القصة تحتمل الصدق والكذب؛ لكن بغض النظر عن صدق هذا الكلام أو كذبه؛ فالمعروف أن الشرك السائد هو الشرك في الألوهية لا الربوبية، وعلىٰ كل حال فتأثير دعوة الشيخ ﷺ في تحقيق التوحيد لا ينكره إلا معاند.

(١) طبع باسم «فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية»، طبع في عدة طبعات، منها طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، سنة (١٤٢١هـ).

(٢) طبع في مكتبة الرشد - الرياض، سنة ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

(٣) نسبة إلىٰ الطريقة النقشبندية، هي واحدة من أكبر الطوائف الصوفية الخرافية، تنتسب إلىٰ محمد بهاء الدين نقشبندي، البخاري، الهالك سنة ٧٩١هـ. ينظر: سلم الوصول لحاجي خليفة، (٥/ ٣٧٣).

(٤) روح المعاني، (١٠/ ٧٤).

# [معنى التوحيد، وأهميته]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ - رَحِمَكَ اللهُ - أَنَّ التَّوْحِيدَ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِالعِبَادَةِ. وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الذِي أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ؛ فَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ ﵇، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ: وَدٍّ، وَسُوَاعٍ، ويَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرٍ. وَآخِرُ الرُّسُلِ مَحَمَّدٌ ﷺ، وَهُو الذِي كَسَّرَ صُورَ هَؤُلاءِ الصَّالِحِينَ، أَرْسَلهُ اللهُ إِلَىٰ أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللهَ؛ وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ ﷻ.

يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُم التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ -تعالىٰ-، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ، مِثْلَ: الْملائِكَةِ، وَعِيسَىٰ، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِن الصَّالِحِينَ. فَبَعَثَ اللَّهُ -تعالىٰ- مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دينهم -دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ-، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التقرُّبَ وَالاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ -تعالىٰ-، لا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِهِ، لا لملَكٍ مقرَّبٍ، ولا لنَبِيٍّ مرسَلٍ، فَضْلًا عنْ غيرِهما. وإلا فهؤلاءِ الْمُشْرِكُونَ يشْهَدُون أنَّ اللهَ هو الخالقُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّهُ لا يَرزُقُ إِلَّا هُو، وَلا يُحْيِيْ وَلا يُمِيْتُ إِلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إِلَّا هُوَ، وأَنَّ جَمِيْعَ السَّمَوَاتِ السبع وَمَنْ فِيهِنَّ، والأَرَضِينَ السَّبعَ ومَنْ فِيها - كلُّهم عَبِيدُه، وتحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ.

فَإِذَا أَردت اَلدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْهَدُونَ بِهَذَا؛ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾

[يونس: ٣١]، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩]، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَوْحِيدِ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَرَفْتَ أن التَّوحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ، الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا الاعْتِقَادَ، وَكَانُوا يَدْعُونَ اللهَ ﷻ لَيْلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الْمَلائِكَةَ؛ لأَجْلِ صَلاحِهِم، وَقُرْبِهِمْ مِن اللهِ ﷻ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُم، أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْلَ: اللاَّتِ، أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ: عِيسَىٰ، وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الشِّرْكِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ إِخْلاَصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ [الرعد: ١٤].

وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ؛ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، وَأَنَّ قَصْدَهُمُ الْمَلائِكَةَ، أَوْ الأَنْبِيَاءَ، أَوْ الأَوْلِيَاءَ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ؛ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ – عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَأَبَىٰ عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ».

## الشَّـرْح

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: بدأ الإمام ﷺ هذه الرسالة بالبسملة؛ اقتداءً بالقرآن الكريم؛ فإنه مبدوء بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)، واقتفاءً بسنة سيد المرسلين؛ فإن الرسول ﷺ كان يبتدئ كتبه ورسائله بالبسملة، كما في كتابه إلىٰ هرقل عظيم الروم، فإنه مبدوء بـ(بسم الله الرحمن الرحيم)[(١)].

وفي الحديث: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بـ (بسم الله الرحمن الرَّحِيمِ) فهو أَقْطَعُ»[(٢)]، وفي لفظ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ فَهُوَ أَقْطَعُ»[(٣)].

والجمع بين البسملة والحمدلة حسن؛ كما جاء في أول القرآن؛ حيث بُدئ بالبسملة والحمدلة، وأما هذه الأحاديث التي مفادها أن ما لا يُبدَأ فيه بالبسملة والحمدلة فهو أبتر، أو أقطع؛ فقد حكم بعض أهل العلم عليها بالضعف

(١) أخرجه البخاري، باب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ، (٧)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ هرقل يدعوه إلىٰ الإسلام، (١٧٧٣).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (٢/ ٦٩)، ومن طريقه عبد القادر الرُّهاوي في: الأربعين، كما في طبقات الشافعية للسبكي، (١/ ١٢)، وعزاه للرهاوي النوويُّ في: الأذكار، (ص١١٣)، وابن الملقن في: البدر المنير، (٧/ ٥٣٠)، وغيرهم من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، وفي إسناده محمد بنُ عمران (وهو ابن الجُنْدِيُّ) ضُعِّف، ورُمِيَ بالتشيُّع. ينظر في ترجمته والكلام عليه: تاريخ بغداد، (٦/ ٢٤٤)، الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي، ترجمة رقم (٢٥٠)، لسان الميزان، (١/ ٦٣٩).

(٣) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب الهدي في الكلام، (٤٨٤٠)، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، (١٨٩٤)، والنسائي في الكبرىٰ، (١٠٢٥٥)، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، وعند أبي داود: «أجذم» بدل: «أقطع»؛ قال الدارقطني في السنن، (١/ ٤٢٧): «تفرد به قرة، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وأرسله غيره عن الزهري، عن النبي ﷺ، وقرة ليس بقوي في الحديث...، والمرسل هو الصواب»، وقد صححه ابن حبان في: التقاسيم والأنواع، (٢/ ٣٨١)، وابن الصلاح في: شرح مشكل الوسيط، (١/ ٥)، وابن الملقن في: البدر المنير، (٢/ ١٢٢)، والنووي في: الأذكار، (ص١١٣).

بجميع ألفاظها وطرقها[١]، ولا يعني ذلك أن البداءة بالبسملة والحمدلة غير مشروعة؛ لأن بعضهم يستلزم من ضعف دليلٍ ما ضعفَ المدلول، والقاعدة: أن نفي دليل معين لا يستلزم نفي مطلق الدليل، ولا نفي المدلول[٢]، وكذلك يقال هنا: ضعف هذا الدليل المعين، لا يستلزم نفي مطلق الدليل، ومن بابٍ أولىٰ لا يستلزم نفي المدلول.

وقد سمع من يضعِّف أصل البداءة بالبسملة والحمدلة في الحديث المرفوع، وقال: «كانت الكتب التقليدية تُبدَأ ببسم الله، والحمد لله»، وغفل عن البداءة بها عمليًّا في الكتاب والسنة، فإلىٰ هذا الحد تكون الغفلة؟! فماذا حصَّل هذا القائل من العلم، وقد خفي عليه أول صفحة في كتاب الله؟!

ونظير هذا من سمع من يدعو في سجوده: «اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»، فلما سلَّم قال له: «لستَ في ليلة القدر»، وهل هذا لا يقال إلا في ليلة القدر؟!

وآخرُ سمع من يقول: «رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلىٰ والدي»، فقال له منكرًا عليه: «هل بلغت الأربعين؟!»، وهكذا الجهل يفعل بصاحبه!

وأما معنىٰ البسملة؛ فقوله: «بِسْمِ» الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره: أؤلف مستعينًا ومتبركًا باسم الله[٣].

و«الله»: اسم الجلالة علَم علىٰ الله، لا يطلَق علىٰ غيره، وهو أعرف المعارف علىٰ الإطلاق، ويرىٰ بعضهم أن الضمير أعرف المعارف[٤]، والصحيح أن لفظ

(١) ينظر: سنن الدارقطني، (١)، العلل له، (٨/ ٢٩)، (١/ ٤٤٨)، تخريج أحاديث الكشاف، (١/ ٢٤).
(٢) ينظر: الجواب الصحيح لابن تيمية، (٣/ ٤٨٢)، الجواب الكافي، (ص ١٧٤).
(٣) ينظر: الكشاف، (١/ ٢).
(٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الأنباري، (٢/ ٥٨١)، وشرح المفصل لابن يعيش، (٢/ ٢٤٧).

الجلالة أعرف المعارف؛ وقد ذكروا أن سيبويه رئي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أدخلَني الجنة، فقيل له: بِمَ؟ قال: بقولي: اللهُ أعرف المعارف[١].

واختلف أهل العربية: هل لفظ الجلالة (الله) مُشتَقٌّ أو جامد؟ فذهب بعضهم إلىٰ أنه جامد؛ إذ لا يوجَد لفظ قبله يُشْتَقُّ منه[٢]، وذهب آخرون إلىٰ أنه مُشتَقٌّ؛ وعنوا أنه علىٰ صيغة المشتقات، وله مادة مشتق منها، وهذه المادة هي المصدر، فالمصدر أصل المشتقات كلها[٣].

قال ابن القيم: «لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنىٰ، لا أنها متولدة منها تولدَ الفرع من أصله، وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلًا وفرعًا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة»[٤].

و«**الرحمن الرحيم**»: الرحمن اسمٌ مختصٌّ به ﷻ، وهو ذو الرحمة الواسعة، والرحيم: الموصل رحمته من شاء من خلقه[٥]، وهو اسم مشترك؛ يطلق علىٰ الله ﷻ، ويطلق - أيضًا - علىٰ غيره، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣]؛ أي: النبي ﷺ، ومثله اسم العزيز، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف:٥١]؛ لأن من الأسماء ما هو خاص بالله ﷻ، لا يطلق علىٰ غيره، ومنها ما هو مشترك بينه وبين خلقه، ولا تضير التسمية به[٦].

(١) ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي، (١/ ٢٤)، ومعنىٰ لا إله إلا الله للزركشي، (ص١٠٦).
(٢) ينظر: معنىٰ لا إله إلا الله للزركشي، (ص١٠٦).
(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه، (٢/ ١٩٥)، وشرح المفصل لابن يعيش، (١/ ٤٢).
(٤) بدائع الفوائد، (١/ ٢٣).
(٥) ينظر: بدائع الفوائد، (١/ ٢٤).
(٦) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، (١٤/ ١٢٢)، وتحفة المودود، (ص١٢٥).

«اعلم -رحمك الله-»: هذا للتنبيه؛ فالمؤلف يريد أن يشد انتباه القارئ، ويرغبه في إحضار قلبه وفهمه، ويأمره بالعلم.

و«اعلم»: فعل أمر من العلم الذي هو ضد الجهل، وهو في الاصطلاح: ما لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه، بمعنىٰ أنه مطابِق للواقع تمامًا، ويقابله الجهل الذي هو مخالِف للواقع.

فإن كان الجاهل يزعم أنه يعلم، وهو في حقيقة الأمر جاهل؛ فهو الجهل المركَّب، وإن كان لا يزعم ذلك؛ فهو الجهل البسيط[١].

ومن مراتب العلم: الظن: وهو الاحتمال الراجح، والوهم: وهو الاحتمال المرجوح، والشك: وهو الاحتمال مستوي الطرفين[٢].

والعلم عند أهل العلم منه الضروري، ومنه النظري؛ أما الضروري؛ فهو ما لا يحتاج معه إلىٰ نظر أو استدلال[٣]؛ كأن تقول: نصف الشيء أصغر من الشيء نفسه.

وكلٌّ يدرك أن السماء فوقنا، والأرض تحتنا؛ فهذا كله من العلم الضروري الذي يلتزمه الإنسان، ويصدِّق به من أوّل سماعه، ويقرّ به مباشرة، ولا يتردد في قبوله؛ حتىٰ يستدل له.

وأما العلم النظري؛ فهو ما ثبت بأدلة قطعية، ونتائجه لا تحتمل النقيض؛ لكن الوصول إليه يحتاج إلىٰ نظر واستدلال[٤]، كأن تقول: سبُع ألفٍ وأربعمائة مائتان؛ فهذا يحتاج إلىٰ نظر، وربما إلىٰ آلة حاسبة، ومثلُه بعض الأحكام المتفق عليها،

(١) ينظر: شرح الكوكب المنير، (١/ ٧٧).
(٢) ينظر: المصدر نفسه، (١/ ٧٤).
(٣) ينظر: المصدر نفسه، (١/ ٦٦).
(٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام،(٢/ ٣٤)، شرح الكوكب المنير،(١/ ٦٦).

التي جاءت بها النصوص القطعية؛ لكنها تخفىٰ علىٰ العامة.

**قال المؤلف هنا**: «رَحِمَكَ اللهُ»، ومثله في الأصول الثلاثة[١]، وقال في مقدمة القواعد الأربع: «أرشدك الله»[٢]، وكلها دعوات لطالب العلم، تدل علىٰ شفقة المعلم، وإرادته الخير للمتعلم.

«**أَنَّ التَّوْحِيدَ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ ﷻ بِالعِبَادَةِ**»؛ بحيث لا يصرف شيء من أنواع العبادة إلا له ﷻ.

وعبـــادةُ الـــرحمنِ غايـــةُ حبِّـــه مـــع ذلِّ عابـــدِه، همـــا قطبـــانِ[٣]

وهذا التعريف خاص بتوحيد الألوهية، فالتوحيد الذي يقرره الشيخ هنا، ويدفع عنه الشبهات - هو توحيد العبادة؛ وإلا فإن التوحيد عند الشيخ وغيره من العلماء ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه أمور مقررة وثابتة في قلوب المتعلمين.

«**وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ الذِي أَرْسَلَهُمُ اللهُ بِهِ إِلَىٰ عِبَادِهِ**»: كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٩]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [الأعراف:٦٥]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف:٧٣]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الأعراف:٨٥]؛ كلهم يقولون: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾، وكلهم يقرر إخلاص العبادة وإفرادها لله ﷻ، ويدعو إلىٰ ذلك، ولم يدع إلىٰ توحيد الربوبية؛ لأنه متقرر في نفوس العباد كلهم؛ كما نص عليه في القرآن، ولم ينكره أحد؛ إلا ما جاء عن فرعون من أنه ادعىٰ الربوبية في الظاهر، وهو في قرارة نفسه مستيقن بأن الرب هو الله وحده: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾

(١) ينظر: ثلاثة الأصول وأدلتها- وشروط الصلاة- والقواعد الأربع، (ص٦).

(٢) ينظر: السابق (ص٨).

(٣) ينظر: القصيدة النونية لابن القيم، (ص٣٥).

[النمل: ١٤]، وسيأتي هذا كله مفصَّلًا في كلام الشيخ.

«**فَأَوّلهُمْ نُوحٌ عليه السلام، أَرْسَلَهُ اللّهُ إِلَىٰ قَوْمِهِ لَمَّا غَلَوْا فِي الصَّالِحِينَ وَدٍّ، وَسُوَاعٍ، ويَغُوثَ، وَيَعُوقَ، وَنَسْرٍ**»: فأوّل الرسل نوح، وفي حديث الشفاعة أن الناس «**يَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ**»، وهذا متفق عليه[(١)].

«**ودٍّ**» وما عُطف عليه بدلٌ من الصالحين، وهو مجرور، وبدل المجرور مجرور، وفي بعض الطبعات[(٢)]: «**وَدًّا وَسُواعًا وَيَغُوْثَ وَيَعُوْقَ وَنَسْرًا**» علىٰ حكاية ما جاء في القرآن.

وهؤلاء قوم صالحون من قوم نوح عليه السلام، كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها: «**أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَتَنَسَّخَ العِلْمُ؛ عُبِدَتْ**»[(٣)]، ونظيره قوله ﷺ: «**خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤوا؛ ذُكِرَ اللهُ**»[(٤)]، لكنَّ هؤلاء المشركين لم يكتفوا بهذا؛ بل تدرجوا، ووضعوا التماثيل في مجالسهم، وصاروا ينشطون علىٰ العبادة إذا رأوها،

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾، (٣٣٤٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها، (١٩٤).

(٢) كما في طبعة: المطبعة المنيرية في مصر، بتحقيق: محمد منير الدمشقي.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرًا﴾، (٤٩٢٠).

(٤) أخرجه أحمد (٢٧٥٩٩)، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب من لا يُؤبَه له، (٤١١٩)، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

وأخرجه أحمد، (١٧٩٩٨) من طريق آخر، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، يبلغ به النبي ﷺ، فذكره بنحوه مرسلًا؛ وروي عن ابن غنم موصولًا من وجه آخر عند الخرائطي في: مساوئ الأخلاق، (٢٢٥)، من طريق شهر بن حوشب، عن ابن غنم، عن أبي مالك الأشعري بنحوه مرفوعًا. وحسنه البوصيري في: مصباح الزجاجة، (٤/ ٢١٥)، وشهر بن حوشب متكلم فيه؛ قال فيه ابن حجر في: تقريب التهذيب، (ص٢٦٩): «صدوق، كثير الإرسال والأوهام».

فلما انقرض ذلك الجيل، ونُسِي العلم؛ جاءهم الشيطان، فقال: إن أسلافكم ما وضعوها إلا ليعبدوها؛ فعُبِدَت.

«وَآخِرُ الرُّسُلِ مَحَمَّدٌ ﷺ»: فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا نبيَّ بعده، وهذا أمر مجمع عليه. وادعىٰ النبوة بعده كذابون دجالون، جاء في الحديث أنهم ثلاثون(١)، ويُذكَر في كتب التواريخ والأدب عددٌ ممّن ادعوا النبوة، ويُذكَر مع قصصهم وأخبارهم طرائف مضحكة، يضحك منها السفهاء، فضلًا عن العقلاء، ومما ذُكِر في طرائف المتنبئين أنه جيء للرشيد برجل ادعىٰ النبوة، فقال له: من أنت؟ قال: أنا موسىٰ بن عمران، فقال: فهذه العصا التي بيدك، هل هي التي تنقلب حيةً؟ قال: نعم، فقال: ألقها يا موسىٰ، قال: لا ألقيها حتىٰ تقول أنا ربكم الأعلىٰ(٢).

فانظر كيف يدرِّس الشيطان أتباعه الحُجَج، ويلقنهم إياها؛ ولكن الباطل مكشوف، ولله الحمد.

«وَهُو الذِي كَسَّرَ صُوَرَ هَؤُلاءِ الصَّالِحِينَ»: لما دخل النبي ﷺ مكة، كان حول الكعبة ثلاثمائة وستون نصُبًا، فجعل يطعُنها بعود كان بيده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[سبأ: ٤٩](٣).

(١) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (٣٦٠٩)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتىٰ يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنىٰ أن يكون مكان الميت من البلاء، (١٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، ولفظه: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ».

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك، (ص٢٣٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾، (٤٧٢٠)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، (١٧٨١).

«أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَىٰ أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللهَ؛ وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ ﷻ»: المشركون كانوا يحجُّون؛ ولذلك استُنكِر علىٰ النبي ﷺ وقوفه مع الناس بعرفة وهو من الحُمْس[١]، وقومه كانوا لا يخرجون من حدود الحرم، فيقفون بالمزدلفة، ولا يقفون مع الناس بعرفة[٢]، فهذا يدل علىٰ أنهم كانوا يحجون، والنبي ﷺ حج قبل حجة الإسلام، كما في حديث جبير بن مطعم ﷺ قال: «أَضْلَلْتُ بَعِيرًا لِي، فَذَهَبْتُ أَطْلُبُهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ، فَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ مِنَ الحُمْسِ، فَمَا شَأْنُهُ هَا هُنَا!»[٣]، وكان هذا قبل أن يسلم جُبير.

«يَتَعَبَّدُونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَذْكُرُونَ اللهَ»: لأنهم يقرون بأن الله هو الخالق، وهو الرازق، ويعترفون له بالفضل والنعمة، فهم يدعونه، ويذكرونه في الشدائد، وأما في السَّعة والرخاء؛ فيدعون غيره، كما سيأتي؛ وهذا هو الذي أحبط أعمالهم، وجعلهم من أعداء الرسل، وبعث النبي ﷺ بدعوتهم وقتالهم حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله، قال النبي ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[٤].

---

(١) **الحُمْس**: بضم الحاء المهملة وإسكان الميم، وهم قريش، ومن ولدته قريش، وكنانة، وجَدِيلة قيس، سموا حُمسًا؛ لأنهم تحمَّسوا في دينهم؛ أي: تشددوا، وقيل: سموا حمسًا بالكعبة؛ لأنها حَمساء، حجرها أبيض يضرِب إلىٰ السواد. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/ ٤٤٠)، والمنهاج شرح صحيح مسلم، (٨/ ١٩٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾، (٤٥٢٠)، ومسلم، كتاب الحج، باب في الوقوف، (١٢٢٠) عن عائشة ﷺ، ولفظه: «**كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفة، فلما جاء الإسلام أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يأتي عرفات، فيقف بها، ثم يفيض منها**».

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة، (١٦٦٤)، ومسلم، كتاب الحج، باب في الوقوف، (١٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، (٢٥)، وأخرجه مسلم، كتاب =

والنبي ﷺ أُرسل إلىٰ قوم لهم عقول وأفهام، فلما قال لهم: «**قولوا: لا إله إلا الله**»؛ أبَوا ورفضوا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، وأما اليوم؛ فتجد من يطوف علىٰ قبر ويقول: لا إله إلا الله، ويعلق التمائم، ويرتكب الكفر البواح أحيانًا وهو يقول: لا إله إلا الله، ويزعم أنه مسلم، وهذا كما سيأتي في كلام الشيخ: أن أبا جهل وأبا لهب وأبا طالب أعرف منه بالتوحيد، وأعرف منه بـمعنىٰ «لا إله إلا الله»[(١)].

«**وَلَكِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ بَعْضَ الْمَخْلُوقِينَ وَسَائِطَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ ﷻ**»: ويزعمون أنهم يقربونهم إلىٰ الله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، فليست هذه الوسائط معبودهم الأصلي، فمعبودهم الذي يعترفون له بالخلق، والرزق، والتدبير هو الله ﷻ، ولكنهم أشركوا معه هؤلاء، وجعلوهم وسائط بينهم وبينه، وقالوا: نريد التقرب إلىٰ الله -تعالىٰ- بشفاعتهم عنده؛ لكن مع هذا الشرك الأكبر هل تنفعهم شفاعة الشافعين؟ الجواب: لا، فالشفاعة لها شروط ستأتي في كلام الشيخ[(٢)].

«**يَقُولُونَ: نُرِيدُ مِنْهُم التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ -تعالىٰ-، وَنُرِيدُ شَفَاعَتَهُمْ عِنْدَهُ، مِثْلَ: الْملائِكَةِ، وَعِيسَىٰ، وَمَرْيَمَ، وَأُنَاسٍ غَيْرِهِمْ مِن الصَّالِحِينَ**»: في بداية أمر هؤلاء المشركين تقربوا بأناس صالحين، ثم استزلهم الشيطان إلىٰ أن صاروا يطلبون الشفاعة، ويتوسلون بأناس ليسوا من أهل الصلاح؛ بل من أهل الفجور – نسأل الله العافية –، وقد رأيت في تاريخ لمنطقة سيناء رسمًا لمقبرتين، كتب علىٰ إحداهما:

= الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله، (٣٦/ ٢٢)، من حديث ابن عمر ﷺ، وجاء من حديث أنس، وأبي هريرة ﷺ.

(١) ينظر: (ص: ٣٣).

(٢) ينظر: (ص: ٧٨).

مقبرة الأولياء الصالحين، وعلىٰ الثانية مقبرة الأولياء الشياطين!.

وابن بطوطة في رحلته التي زادت مدتها علىٰ ثلاث وعشرين سنة يقرِّر هذا النوع، ويزاوله بكل وضوح وجلاء؛ فلا يترك قبرًا أو مشهدًا إلا ويزوره، ويفعل عنده ما يفعله هؤلاء المشركون.

وقد سمعت أن في إحدىٰ القنوات المحافِظة التي تكشف عوار الروافض، وتبين ضلالهم وغلوهم، نقل مقطع لرافضي يقول: إن عنده عهدًا من الحسين أبي عبد الله ألا يسمع أحدٌ كلامه إلا بكىٰ، ويقول: فبالحسين لو نزل الجبَّار لَبَكَّيْتُه. وأي كفر أعظم من هذا؟! نسأل الله العافية، وآخر منهم يطوف بالبيت، ويقول: يا أبا عبد الله، جئنا بيتك، وقصدنا حرمك، ونرجو مغفرتك.

**«فَبَعَثَ اللّهُ مُحَمَّدًا ﷺ يُجَدِّدُ لَهُمْ دينهم -دِينَ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ-»**: دين أبيهم إبراهيم هو الحنيفية، والتوحيد الخالص؛ قال تعالىٰ:﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل:١٢٣]، ومع ذلك فإبراهيم الذي أُمر النبيُّ ﷺ باتباعه يخاف علىٰ نفسه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم:٣٥]؛ يقول إبراهيم التيمي[(١)]: «من يأمن البلاء بعد قول إبراهيم؟»[(٢)].

**«وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ هَذَا التقَرُّبَ وَالاعْتِقَادَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ، لا يَصْلُحُ مِنْهُ شَيْءٌ لِغَيْرِهِ، لا لملَكٍ مقرَّبٍ، ولا لنَبِيٍّ مرسَلٍ، فَضْلًا عنْ غيرِهما»**: أي: فكيف بغيرهما ممن ليس صالحًا؛ كأولياء الشيطان؟ والشيطان له أولياء، فكما للرحمن أولياء، فكذلك للشيطان أولياء، قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(١) هو: إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، أبو أسماء، الإمام، القدوة، الفقيه، عابد الكوفة، مختلف فيه، والعمل علىٰ توثيقه، (ت ٩٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، (٥/ ٦٠)، لسان الميزان، (٩/ ٢٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير، (٧/ ٢٢٤٩)، وابن جرير في التفسير، (١٧/ ١٧).

[يونس:٦٢]، ويقابلهم أولياء الشيطان، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب اسمه: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

«وإلا فهؤلاءِ المُشْرِكُونَ يشْهَدُون أنَّ اللهَ هو الخالقُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأنَّهُ لا يرزُقُ إلَّا هُو، ولا يُحْيِي ولا يُمِيْتُ إلَّا هُوَ، وَلَا يُدَبِّرُ الأَمْرَ إلَّا هُوَ، وأنَّ جَمِيْعَ السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِيهِنَّ، والأَرَضِينَ السَّبعَ ومَنْ فِيها -كلُّهم عَبِيدُه، وتحْتَ تَصَرُّفِهِ وَقَهْرِهِ»: ويزعم الغلاة من المتصوِّفة وغيرهم، من الذين يعتقدون في الأولياء - أنهم يدبِّرُون الكَوْن، وأوَّل من زعم ذلك الرافضة في علي ﷺ، فحرَّقهم، وقال:

«لَمَّـا رَأَيْـتُ الْأَمْـرَ أَمْـرًا مُنْكَـرًا أَجَّجْـتُ نَـارِي وَدَعَـوْتُ قَنْبَـرًا»(١)

«فَإِذَا أَرَدت الدَّلِيلَ عَلَىٰ أَنَّ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَشْهَدُونَ بِهَذَا؛ فَاقْرَأْ عَلَيْهِ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١]»: فهؤلاء المشركون يشهدون بأن الله هو الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبِّر، فإذا أردت الدليل علىٰ أن هؤلاء المشركين الذين بُعِث إليهم النبي ﷺ، وأُمِرَ أن يقاتلهم حتىٰ يقولوا: «لا إله إلا الله» -يشهدون بهذا؛ فاقرأ قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾، وجواب هذا السؤال: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾، فهؤلاء المشركون اعترفوا بأن الله هو فاعل هذه الأشياء، وأنها منه وإليه، ثم بعد ذلك أُمر النبي ﷺ بالإنكار عليهم بقوله: ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وهذا استفهام إنكاري، يعني: إذا كنتم تقرون بأن الله ﷻ هو الذي خلقكم، ورزقكم،

(١) أخرجه ابن الأعرابي في المعجم، (٦٧)، والآجري في الشريعة، (٥/ ٢٥٢٠)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري، (١٢/ ٢٧٠).

وأسبغ عليكم النعم، وهو الذي يملك السموات السبع والأرضين ومن فيهن، ويخرج الحي من الميت، إلىٰ آخر ما ذكر في الآية؛ أفلا تتقون الله ﷻ الذي يفعل هذه الأشياء، فتفردوه بالعبادة، ولا تصرفوا شيئًا من خصائصه لغيره؟!، أو: أفلا تتقون الشرك به في ألوهيته؟!.

«وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾»: وهذا أيضًا إنكار عليهم، فما داموا اعترفوا وأقروا بأنها لله ﷻ؛ فقل لهم يا محمد: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾؟!، ومعناه: هل من مدّكر؟!

فلو أن شخصًا من الناس أسدىٰ إليك معروفًا -ولو بكلمة طيبة-؛ لمالَ قلبك إليه؛ لأن النفوس جبلت علىٰ حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، والله ﷻ خلقهم ورزقهم، وأسبغ عليهم النعم، ثم بعد ذلك يعبدون غيره.

«﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾»: الأصل في الجواب أن يكون: «سيقولون الله»؛ لكن المراد بذلك الربوبية المفهومة من قوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، وتقدير الجواب: فسيقولون الربوبية لله.

«﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾»: وعبَّاد القبور والمشاهد يقولون: إن صاحب هذا المشهد وهذا القبر هو الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو الذي يصرِّف الكَوْن، ومن الروافض من يقول: إن عليًّا حيٌّ، ومازال في السحاب يصرِّف الكون[1].

(١) ينظر: الفِصَل في الملل والأهواء والنِّحَل، (٤/ ١٣٨).

وهذه الأدلة ساقها الإمام المجدد ﷺ ليُبَيِّن أن المشركين الذين بُعِث فيهم النبي ﷺ مقرون بتوحيد الربوبية، وأن الخلاف بينهم وبينه ﷺ في توحيد الألوهية.

وتجد بحوث أهل علم الكلام ومؤلفاتهم في التوحيد تدور كلُّها حول تقرير إثبات الصانع، وتقرير الأسماء والصفات علىٰ طريقتهم في نفيها؛ ولذلك انتشرت الشركيات في كثير من الأقطار الإسلامية، وعمَّت المشاهِد والأضرحة بلاد المسلمين، فقلَّ أن يوجَد مسجد من مساجدهم سَلِم من وجود قبر فيه، مع أن هذه البلاد فيها علماء، إلا أنهم لم يعتنوا بتوحيد الألوهية.

ففي كشمير ضريح من أكبر الأضرحة يسمُّوْنه ضريح الشَّعْرة، ويقولون: إنها شعرة من شعر عبد القادر الجيلاني، وهذا الضريح تجري تحته أنهار، ويُتَبَرَّك بهذا الماء، وبالغبار الذي يجتمع حوله.

وفي كربلاء وغيرها الشرك والبلاء، وفي مصر ما لا يخفىٰ.

وثمت كتاب اسمه «إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد علىٰ القبور»، لأحمد بن الصدِّيْق الغُمَارِي، المتوفىٰ سنة ١٣٨٠هـ، قال في مقدمته: «فإنك سألت عن حكم البناء علىٰ القبور، هل هو جائز، كما جرىٰ عليه عمل السلف والخلف شرقًا وغربًا، أو هو ممنوع، كما يذهب إليه القرنيون؟!»[(١)].

ينبز الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بأنهم قرنيون؛ نسبةً إلىٰ ما جاء في نجد، وأنه قرن الشيطان[(٢)]، ويقرِّر في الكتاب كلِّه أن هذه المشاهد سنة متبعة، ويرد

(١) (ص:٣).

(٢) أخرجه البخاري، أبواب الاستسقاء، باب ما قيل في الزلازل والآيات، (١٠٣٧)، والترمذي، (٣٩٥٣)، وأحمد، (٥٩٨٧)، من حديث ابن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لنا في شامنا، وفي يمننا»، قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: «اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا»، قال: قالوا: وفي نجدنا؟ قال: قال: «هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان».

بقوة علىٰ مَن ينكرها.

إذا كان إبراهيم خاف علىٰ نفسه، وله المقامات العلية من الدين، فما يقول غيره؟ فأين عقول هؤلاء؟!

فعلىٰ الإنسان أن يلهج دائمًا بسؤال الله الثبات؛ أن يثبِّته الله -تعالىٰ- علىٰ هذا التوحيد، وأن يميته علىٰ الإسلام، فالنبي ﷺ الذي غُفِر له ما تقدم من ذنبه، وجاءت النصوص بأنه أول من يستفتح باب الجنة، وأول من يدخل الجنة[1]؛ كان يكثر من قوله: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»[2].

«**إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّهُمْ مُقِرُّونَ بِهَذَا، وَأَنَّهُ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي التَّوْحِيدِ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَرَفْت أن التَّوحِيدَ الَّذِي جَحَدُوهُ هُوَ تَوْحِيدُ العِبَادَةِ، الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا الاعْتِقَادَ**»: أي: إذا عرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة، وعرفت أن التوحيد الذي قاتلهم النبي ﷺ من أجله هو توحيد الألوهية، والذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد؛ فهم علىٰ حد زعمهم يعتقدون في الشيخ الفلاني، وفي الولي الفلاني، وفي الضريح الفلاني؛ أنه ينفعهم، ويتقربون إليه، ويدعونه من دون الله.

والاعتقاد: هو القطع والجزم، وقد يكون صحيحًا، وقد يكون فاسدًا، فأصحاب الطرق الصوفية يعتقدون في أوليائهم ومعبوديهم من دون الله ﷻ،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ**»، (١٩٧)، عن أنس بن مالك ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**».

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، (٢١٤٠)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب دعاء الرسول ﷺ، (٣٨٣٤)، وأحمد (١٣٦٩٦)، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال الترمذي عقبه: «حديث حسن»، وصححه الحاكم (١/ ٧٠٧).

والنصارىٰ اعتقدوا في عيسىٰ عليه السلام وأمه، والغلاة اعتقدوا في النبي ﷺ، وأنزلوه منزلةَ الله ﷻ،كما جاء في بردة المديح التي سارت في الأمة سريان النار في الهشيم:

فـــإنَّ مـــن جـــودِك الـــدنيا وضـــرَّتَها ومـــن علومِـــك علـــمَ اللـــوحِ والقلـــمِ[1].

«وَكَانُوا يَدْعُونَ اللهَ ﷻ لَيْلًا وَنَهَارًا، ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو اَلْمَلائِكَةَ؛ لأَجْلِ صَلاحِهِم، وَقُرْبِهِمْ مِن اللهِ ﷻ؛ لِيَشْفَعُوا لَهُم، أَوْ يَدْعُو رَجُلًا صَالِحًا مِثْلَ: اللَّاتِ»: اللات كما جاء في حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه «كَانَ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ»[2]، فلما مات؛ عكفوا علىٰ قبره[3]، وكان في الطائف[4].

«أَوْ نَبِيًّا مِثْلَ: عِيسَىٰ»: فمنهم من قال: إن عيسىٰ هو الله، ومنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: ثالث ثلاثة.

«وَعَرَفْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الشِّرْكِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ إِخْلاَصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد: ١٤].

تقديم الجار والمجرور في ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ يدل علىٰ الاختصاص والحصر، فهي له، وليست لغيره، مثل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة:٥]؛ أي: إياك نعبد، ولا نعبد

(١) البيت (١٥٤) من بردة البوصيري، وقد رد عليه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين في رسالة لطيفة. ينظر: الرد علىٰ البردة، (ص ٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾، (٤٨٥٩)، والسويق: الكعك. الاستذكار، (١/ ١٧٩)، ولتَّ السويق وغيره، يلته لتًا: إذا بسه، وخلطه بالماء، أو غيره. ينظر: جمهرة اللغة، (١/ ٨٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير، (٢٢/ ٥٢٣)، من قول مجاهد.

(٤) أخرجه ابن جرير في التفسير، (٢٢/ ٥٢٣)، من قول قتادة.

غيرك؛ لأن تقديم المعمول يدل على الحصر[١].

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾، والذين أفنوا أعمارهم في دعاء الأضرحة هل أجابتهم بشيء؟!، وقد يكون من باب زيادة الفتنة لبعضهم أن يسمع كلامًا من القبر يرد عليه، ويكون ذلك شيطانًا؛ وإلا فمَن في هذا القبر قد مات، ولو كان قادرًا على نفع؛ لنفع نفسه، فكيف ينفع من يدعوه؟!.

«وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَهُمْ لِيَكُونَ الدُّعَاءُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالذَّبْحُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالنَّذْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَالاسْتِغَاثَةُ كُلُّهَا بِاللهِ، وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ كُلُّهَا لِلَّهِ»: فالدعاء كله لله، وهو عبادة، فلا يجوز صرفه لغير الله ﷻ، وقد تنادي شخصًا وتطلب منه شيئًا يستطيعه؛ فهذا أمره سهل؛ لأنه يقدر عليه، وأما أن تدعوه وتطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ؛ فهذا هو الشرك.

والذبح كله لله، فإذا كان القصد به التعظيم؛ فصرفه للمخلوق شرك أكبر، وإذا كان القصد به الإكرام، لا التعظيم، وذُكِرَ عليه اسم الله؛ فهو مطلوب شرعًا، قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[٢].

والاستغاثة كلها بالله فيما لا يقدر عليه المخلوق، وأما ما يقدر عليه المخلوق؛ فجائز، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِ﴾ [القصص: ١٥]، وقد سيق في القرآن من غير إنكار؛ إلا من جهة أنه قتلُ نفس لا تستحق القتل، والندم على القتل.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، (٣/ ٢٣٧)، الإكليل للسيوطي، (ص ١١٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلا يؤذ جاره، (٦٠١٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، (٤٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، وجاء من حديث أبي شُريح العدوي ﷺ.

«وَعَرَفْتَ أَنَّ إِقْرَارَهمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلاَمِ»: لأنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية قبل أن يبعث إليهم النبي ﷺ، وبعد أن بُعِثَ إليهم، كما تقدم في قوله ﷺ: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٥].

«وأَنَّ قَصْدَهُمُ الْمَلاَئِكَةَ، أَوْ الأَنْبِيَاءَ، أَوْ الأَوْلِيَاءَ؛ يُرِيدُونَ شَفَاعَتَهُمْ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ بِذَلِكَ؛ هُوَ الَّذِي أَحَلَّ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»: فهم يعبدون الله؛ لكنهم يجعلون هؤلاء وسائط يقربونهم إلىٰ الله بذلك.

«عَرَفْتَ حِينَئِذٍ التَوْحِيدَ الَّذِي دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ»؛ أي: عرفت أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل هو توحيد الألوهية.

«وَأَبَىٰ عَنِ الإِقْرَارِ بِهِ الْمُشْرِكُونَ»: لما قيل لهم: قولوا «لا إله إلا الله»، وهم يفهمون معناها، وأنه: لا معبود حق إلا الله، ومقتضىٰ ذلك أن تُنْفَىٰ الألوهية عن معبوديهم؛ رفضوا واستنكروا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

والمرسلين نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

## [معنى: لا إله إلا الله، وموقف الكفار منها]

«وَهَذَا التَّوْحِيدُ هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِكَ: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ)؛ فَإِنَّ الإِلَهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ، سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا، لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الإِلَهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدبِّرُ، فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ، وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ (الإِلَهِ) مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ (السَّيِّدِ)، فَأَتَاهُم النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِي: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، والْمرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لاَ مُجَرَّدُ لَفْظِهَا.

وَالْكُفَّارُ الْجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِالتَعَلُّقِ، وَالْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ ﷺ: قُولُوا: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الْكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ، فَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ وَهُوَ لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَا عَرَف جُهَّالُ الْكُفَّارِ؛ بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا، مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ لِشَيءٍ مِنَ الْمَعَانِي، وَالْحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: لا يَخْلقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلا يُدَبِّرُ إِلَّا اللهُ، فَلا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الْكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعَانِي (لا إِلَهَ إِلا اللهُ).

إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ، وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا

عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِه الرُّسُلَ، مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، الَّذِي لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهَذَا، أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وَأَفَادَكَ - أَيْضًا -: الْخَوْفَ الْعَظِيمَ، فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يكْفُرُ بِكَلِمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ؛ فَلا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ، وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ، كَمَا ظَنَّ الْكُفَّارُ، خُصُوصًا إِنْ أَلْهَمه اللهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ عليه السلام مَع صَلاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]؛ فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُه، وَحِرْصُه عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُه مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَوْحِيدِ إِلَّا جَعلَ لَهُ أَعْدَاءً، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَقَدْ يكُونُ لأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَكُتُبٌ، وَحُجَجٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

إِذا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَىٰ اللهِ لابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ؛ فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلاحًا تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينَ، الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ، وَمُقَدَّمُهُمْ لِربكَ ﷻ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ

صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦].

**وَلَكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَأَصْغَيْتَ إِلَىٰ حُجَجِ اللهِ وَبَيِّنَاتِهِ؛ فَلا تَخَفْ، وَلاَ تَحْزَنْ؛ ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾** [النساء: ٧٦].

**وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ الأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِين، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾** [الصافات: ١٧٣]، **فَجُنْدُ اللهِ - تَعَالَىٰ- هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا هُمُ الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَىٰ الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلاحٌ.**

**وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ﴾** [النحل: ٨٩]، **فَلا يَأْتِي صَاحِبُ بَاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا، وَيُبَيِّنُ بُطْلانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾** [الفرقان: ٣٣]، **قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: «هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».**

## الشَّرْح

**«وَهَذَا التَّوْحِيدُ»**: أي: الذي دعت إليه الرسل، والذي عَرَّفَه في مطلع هذا الكتاب بأنه إفراد الله بالعبادة، وليس هو توحيد الربوبية الذي يقرِّره مشركو زماننا، وهو الذي أقر به المشركون الذين أرسل إليهم النبي ﷺ.

**«هُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِكَ: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ)»**: يعني أن توحيد الإلهية - أو توحيد العبادة - هو معنىٰ الشهادة: (لا إله إلا الله)، ومعناها: لا معبود حق إلا الله، ولا مألوهَ ولا مرجوَّ ولا مخوفَ حق إلا الله.

«فَإِنَّ الإِلَهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الَّذِي يُقْصَدُ لأَجْلِ هَذِهِ الأُمُورِ؛ سَوَاءٌ كَانَ مَلَكًا، أَوْ نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ شَجَرَةً، أَوْ قَبْرًا، أَوْ جِنِّيًّا»: الإله المنفي بكلمة التوحيد: (لا إله) يثبته هؤلاء المشركون؛ فإن الإله عندهم هو الذي يُقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان ملكًا، أو نبيًا، أو وليًا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جنيًا، سواء كانوا من مشركي العرب وغيرهم ممن بعث فيهم النبي ﷺ وقاتلهم، أم من مشركي زماننا هذا.

وهذا منفي عن غير الله ﷻ في كلمة التوحيد التي أُمر النبي ﷺ أن يقاتل الناس حتىٰ يقولوها، والقول المجرد لا يكفي؛ لأن مجرد القول موجود عند مشركي زماننا، وإن أباه ورفض القول والتلفظ به من هو أذكىٰ منهم، وأعرف وأفهم لهذه الكلمة من مشركي قريش، كأبي جهل وأضرابه، كما سيأتي في كلام المؤلف ﷺ.

«لَمْ يُرِيدُوا أَنَّ الإِلَهَ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدبِّرُ»: فكفار قريش لا يقولون: إن الإله هو الخالق الرازق المدبِّر؛ لأنهم يقرون به، ولو كانوا يعنون بالإله الخالقَ الرازقَ المدبرَ؛ ما امتنعوا عن قول: (لا إله إلا الله).

«فَإِنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ ذلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، كَمَا قَدَّمْتُ لَكَ»: فيتفق المشركون المتأخرون مع المشركين المتقدمين، فالمتقدمون يقرون ويعترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر، والمتأخرون يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المدبِّر، وكلٌّ من الفريقين يشرك معه في توحيد الألوهية؛ ولذا لم ينفع المتقدمين الإقرارُ بتوحيد الربوبية، ولم يدخلوا في الإسلام حينما أقروا واعترفوا به، كما سلف في الآيات السابقة.

«وَإِنَّمَا يَعْنُونَ بِـ (الإِلَهِ) مَا يَعْنِي الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا بِلَفْظِ (السَّيِّدِ)»: أي: أن الإله عند مشركي العرب هو الذي يطلقون عليه فيما جاء بعد ذلك من الأعصار (السيِّد)، فيطلقون علىٰ من يرجونه، ويخافونه، ويدعونه، ويلتجِئُون إليه في الشدائد

اسم (السيد)، كالسيد البدوي، وغيره؛ ممن يُتخَذ إلهًا من دون الله.

«فَأَتَاهُم النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ: (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، والْمرَادُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَعْنَاهَا، لاَ مُجَرَّدُ لَفْظِهَا»: ولو كان المراد مجرد اللفظ ما تأخر المشركون عن الإذعان والإتيان بها؛ لأنه لا يناقض ما هم عليه من الشرك، فلا يعجز أحد عن أن يقول: (لا إله إلا الله)؛ ولكنهم يعرفون المعنىٰ، ولذلك صاروا أعرف وأفهم من المشركين المتأخرين الذين يطوفون بالقبور، ويذبحون لغير الله، وينذرون لغيره، وهم يقولون: (لا إله إلا الله).

«وَالْكُفَّارُ الْجُهَّالُ يَعْلَمُونَ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ: هُوَ إِفْرَادُ اللهِ -تَعَالَىٰ- بِالتَعَلُّقِ، وَالْكُفْرُ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُ»: هذا مقتضىٰ (لا إله إلا الله)، وهو نفي الألوهية عن جميع ما يعبد من دون الله، وإثباتها لله وحده، والآن يوجد من يسجد للقبر، ويقول: (لا إله إلا الله)، وهذا جهل عظيم، وضلة في الرأي.

«فَإِنَّهُ لَمَّا قَالَ ﷺ: قُولُوا: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]»: كفار قريش لما قيل لهم قولوا: (لا إله إلا الله)؛ رفضوا، وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾.

«فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ جُهَّالَ الْكُفَّارِ يَعْرِفُونَ ذَلِكَ»؛ أي: أنهم يعرفون ويفهمون المعنىٰ، ويعرفون مدلولات الألفاظ، وما يحيل المعاني، وهم المرجع في هذا الباب؛ لأنهم عرب علىٰ الفطرة.

«فَالْعَجَبُ مِمَّنْ يَدَّعِي الإِسْلاَمَ وَهُوَ لا يَعْرِفُ مِنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ مَا عَرَفَ جُهَّالُ الْكُفَّارِ؛ بَلْ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ التَّلَفُّظُ بِحُرُوفِهَا مِنْ غَيْرِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ لِشَيءٍ مِنَ الْمَعَانِي»: لأنهم لو عرفوا معناها؛ ما وقعوا فيما وقعوا فيه من الشرك المناقض لها.

«وَالْحَاذِقُ مِنْهُمْ يَظُنُّ أَنَّ مَعْنَاهَا: لا يَخْلقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلا يُدَبِّرُ إِلَّا اللهُ»: يظنون أن هذا معناها، والمتكلمون في كتبهم وموسوعاتهم -علىٰ كثرتها وتنوعها- يقررون هذا المعنىٰ؛ فتجدهم لا يحومون حول المعنىٰ الصحيح لـ (لا إله إلا الله)، وإنما يقررون أن معناها: لا يخلق، ولا يرزق، ولا يدبر الأمر إلا الله؛ ونتيجة لذلك انتشرت الشركيات في بلدانهم مع عدم إنكارها؛ لأنهم لا يعتقدون أنها تناقض (لا إله إلا الله)، وشواهد الأحوال ظاهرة، فإن كثيرًا من الناس ممن يسافر من هذه البلاد إلىٰ أقرب البلدان يضيق ذرعًا بالصلاة في المسجد، ويقول: لا نجد مسجدًا ليس فيه قبر؛ ولذلك نضطر لأن نصلي أفرادًا في سكننا، فالإنسان قد يعجب كيف انتشر الشرك في الأمة بهذه الطريقة وفيها العلماء، وهي خير أمة أخرجت للناس؟!

فإذا كان رأس المال التوحيد الذي لا يصح بدونه أي عمل، ولا يقبل من دونه أي تقرب إلىٰ الله ﷻ؛ فلا بد من الدعوة الجادّة إلىٰ هذا التوحيد، والحمد لله أن الذين تعلموا في هذه البلاد انتشروا في الأقطار، وذهبوا إلىٰ البلدان والأمصار، فعلَّموا ونفع الله بهم نفعًا عظيمًا.

«فَلا خَيْرَ فِي رَجُلٍ جُهَّالُ الْكُفَّارِ أَعْلَمُ مِنْهُ بِمَعَانِي (لا إِلَهَ إِلا اللهُ)»: أبو جهل فرعون هذه الأمة[1] يعرف معنىٰ (لا إلىٰ إلا الله)، وكبار المتكلمين وحذاقهم يخفىٰ عليهم المعنىٰ الصحيح لـ (لا إله إلا الله)؛ ولذا وقعوا فيما وقعوا فيه من الكلام الذي لا طائل تحته، وأفنوا أعمارهم فيما يضرهم ولا ينفعهم، ومنهم من علم الحق

(١) إشارة إلىٰ حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعد مقتل أبي جهل: «كان هذا فرعون هذه الأمة». أخرجه أحمد (٣٨٢٤)، وابن أبي شيبة في المصنف، (٣٦٦٩٨)، والطبراني في: الكبير، (٨٤٦٩)، والبيهقي في الكبرىٰ، (١٨٠١٤). الحديث أنكره وضعفه ابن كثير، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة، وهو ثقة»، ينظر: جامع المسانيد والسنن، (٧/ ٤٨٨)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (٦/ ٧٩).

عند حضور الأجل، فتمنىٰ كبارهم أن يموتوا علىٰ عقائد عجائز نيسابور[١]، فعلىٰ الإنسان الفرح بما آتاه الله من هذا العلم ووفقه إليه، والخوف العظيم من سلْبه، كما سيأتي في كلام الشيخ ﷺ في الفائدتين.

«إِذَا عَرَفْتَ مَا قُلْتُ لَكَ مَعْرِفَةَ قَلْبٍ»: لا معرفة لسان فحسب، بأن تقول الكلام بلسانك ولا يدخل إلىٰ سويداء قلبك؛ بل لا بد أن يكون مخزونًا في القلب؛ لأنه إذا لم يتحققه القلب؛ فبإمكان أي شبهة أن تزيله.

«وَعَرَفْتَ الشِّرْكَ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]»: الشرك ليس بقابل للغفران، وأما ما دونه؛ فإنه يدخل تحت المشيئة بما في ذلك كبائر الذنوب، هذا هو قول أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة كافر، وخلافًا للمعتزلة الذين يقولون: إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا كافر ولا مؤمن، ويتفق المعتزلة مع الخوارج علىٰ أنه مخلَّد في النار[٢]، نسأل الله العافية.

والشرك كما هو معلوم نوعان: أكبر وأصغر، والعلماء يختلفون في الأصغر؛ هل يدخل فيما لا يُغفَر كالشرك الأكبر، أم يغفر كغيره من الذنوب؟

فمن أهل العلم من يرىٰ أن الآية عامة تشمل جميع أنواع الشرك، فما دام

(١) قال أبو الفتح الطبري: «دخلنا علىٰ الإمام أبي المعالي ابن الجويني نعوده في مرض موته فأقعد، فقال لنا: اشهدوا عليَّ أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها ما قال السلف الصالح، وإني أموت علىٰ ما تموت عليه عجائز نيسابور» ينظر: بيان تلبيس الجهمية، (١/ ٥٣)، والعلو للعزيز الغفار، (ص٢٥٨).

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٤/ ١٤٥)، شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، (ص: ١٧٥).

شركًا؛ فهو داخل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾، وهذا قول معروف عند أهل العلم، وظاهر الآية يؤيده؛ لأن قوله تعالىٰ: ﴿أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ نكرة مؤولة في سياق النفي، يدخل فيها الشرك الأكبر والأصغر.

ومنهم من يقول: إن الشرك الأصغر حكمه حكم كبائر الذنوب، فهو تحت المشيئة(١).

وأصحاب القول الأول، القائلون بأن الشرك الأصغر غير داخل في مشيئة الله يفرقون بين من تلبس به وبين المشرك شركًا أكبر بأنه لا بُدَّ أن يعذّب بقدر هذا الشرك، ثم في النهاية يخرج، ولا يخلّد كصاحب الشرك الأكبر(٢).

«وَعَرَفْتَ دِينَ اللهِ الَّذِي بَعَثَ بِه الرُّسُلَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، الَّذِي لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ سِوَاهُ، وَعَرَفْتَ مَا أَصْبَحَ غَالِبُ النَّاسِ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ بِهَذَا»: أي: إذا كنت علىٰ بصيرة وبيِّنَة من هذا كلِّه، وعرفت التوحيد الحقيقي المطلوب المحقِّق لمعنىٰ لا إله إلا الله، وعرفت ما يضادّه من الشرك.

«أَفَادَكَ فَائِدَتَيْنِ: الأُولَىٰ: الْفَرَحُ بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]».

الفرح في الأصل مذموم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]؛ لكن هذا إذا كان في أمور الدنيا التي لا يستفاد منها ولا تنفعه في أخراه، كما حصل لقارون ومن علىٰ شاكلته.

وأما المرضي المقرب من الله؛ فيستحب الفرح به، كما في قوله ﷺ: «**لِلصَّائِمِ**

(١) ينظر: الجواب الكافي، (ص: ٩٢ - ٩٤)، إغاثة اللهفان لابن القيم، (١/ ٥٩).
(٢) ينظر: جامع الرسائل، (٢/ ٢٥٤)، والرد علىٰ البكري، (١/ ٣٠١).

فَرْحَتَانِ»[(١)]؛ لأن الصيام مما يقربه إلىٰ الله ﷻ؛ فهو يُفرح به.

ولكن مع ذلك بقدر عِظَم هذه النعمة يُشفِق ويخاف من زوالها؛ لأنه لا يأمن أن تزول وتسلب.

«وَأَفَادَكَ - أَيْضًا -: الْخَوْفَ الْعَظِيمَ»: فالإنسان يخاف من زوال النعم، ويحزن علىٰ ذلك؛ لكن الخوف يكون بمستوىٰ هذه النعمة، وبقدر فرحه بها، فمثلًا: لو اشترىٰ أحد سيارة بكل ما يملك، واستدان علىٰ ذلك زيادة؛ فإنه سيحرص عليها، ولكن إذا كانت السيارة من الأنواع الرخيصة؛ فإنه لا يهتم لها مثل هذا الاهتمام.

كذلك لو كان علىٰ الإنسان ثوب غالٍ، فإنه يحرص علىٰ ألا يتدنس بشيء، بينما لو كان رخيصًا لم يأبه له، والمقصود أنه كلما زادت النعمة وصعب منالها؛ كان الخوف عليها من أن تسلب أعظم.

«فَإِنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الإِنْسَانَ يكْفُرُ بِكَلمَةٍ يُخْرِجُهَا مِنْ لِسَانِهِ»: ففي الحديث: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم**»[(٢)]، وفي لفظ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ**»[(٣)]، وفي حديث آخر: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- قَالَ: مَنْ ذَا**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، (١٩٠٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، (١١٥١)، من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، (٦٤٧٨)، وأحمد (٨٤١١)، من حديث أَبِي هريرة ﷺ.

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد، باب فيمن تكلم بالكلمة يضحك بها الناس، (٢٣١٤)، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، (٣٩٧٠)، وأحمد (٧٢١٥)، من حديث أَبِي هريرة ﷺ مرفوعًا.

**الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»**(١)، وفي رواية: «**قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته**»(٢)، وفي حديث آخر: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»(٣).

فيجب على الإنسان أن يحفظ لسانه:

**احْفَظْ لسانكَ أيها الإنسانُ ... لا يلدغنَّك إنَّهُ ثُعْبَانُ**(٤)

فلدغة الثعبان قد تُعالَج، لكن الزلة باللسان قد لا تعالج.

«**وَقَدْ يَقُولُهَا وَهُوَ جَاهِلٌ؛ فَلا يُعْذَرُ بِالْجَهْلِ**»: هذا بالنسبة لشخص يعيش بين المسلمين، يسمع النصوص والأدلة؛ فيعرض عن تعلم دين الله وشرعه، ولا يرفع بذلك رأسًا، فمثل هذا لا يُعذَر؛ وإلا فالأصل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]، وهذا ما يقرره الإمام المجدد صاحب هذا الكتاب.

والعذر بالجهل مسألة طويلة الذيول، ولها صُوَر وفروع، وليس هذا محل بسطها؛ ولكن الشيخ ﷺ ممن يَعذر بالجهل، فلا بد أن تبلغ الحجة؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله -تعالى-، (٢٦٢١)، من حديث جندب بن عبد الله ﷺ مرفوعًا.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب النهي عن البغي، (٤٩٠١)، وأحمد، (٨٢٩٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل؛ فهو كما قال، (٦١٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر، (٦٠)، من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعًا، واللفظ لمسلم.

(٤) البيت مع بيت آخر بلا نسبة في اللطائف والظرائف للثعالبي، (ص ١٠٤)، ومجمع الأمثال، (٢/ ٣٠٣).

فإن كان ممن يفهم العربية؛ فإن عرضها عليه يكفي في بلوغ الحجة، وإذا كان لا يفهم الكلام العربي؛ فلا بد أن يفهم بلغته التي يحسنها.

ولا يلزم ألا يبقىٰ عنده أي شبهة؛ لأن كثيرًا من المسلمين في الأقطار إذا قيل لأحدهم: «هذا شرك، والدليل علىٰ ذلك قول الله -تعالىٰ- كذا، وقول رسول الله ﷺ كذا» قال: «أنتم تقولون وتقررون هذا، ولكن شيوخنا يقولون غيره»، فهذا عنده شبهة مانعة من قبول الحجة، فهل يقال بأن الحجة لم تبلغه؟! كلا؛ لأنه يفهم، وقد ألقي إليه الدليل والحجة من الكتاب والسنة، فأعرَض اكتفاء بما عليه، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٣]، وقوله: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٧-٦٨]، فهؤلاء لم يُعذَروا؛ لأنهم أطاعوا السادة الذين صدوهم عن دين الله.

وعلىٰ الإنسان أن يحمد الله ﷻ أن كان بين علماء محقِّقين يعرفون معنىٰ (لا إله إلا الله)، ويعرفون ما يناقضها؛ وإلا فما الفرق بينه وبين غيره من أولئك الفئام الذين يقتدون بعلماء لهم شأن واحترام؛ بل وتقديس بين الناس، ثم إذا رأوهم يفعلون شيئا فعلوا مثلهم وقالوا: هم أعرف؟!، وقريب من هذا فعل مقلِّدَة المذاهب؛ تجد أحدهم يقال له: هذا الفعل ليس بصحيح؛ لأنه مخالف للنص، فيقول: «لا؛ بل المذهب كذا»، وإن كان هذا أخفَّ؛ لأن صاحب المذهب صاحب سنة في الجملة؛ لكن بعض أنصاف المتعلمين من المتمذهبة لا يخرج عن المذهب، ولا يحيد عنه؛ بحجة أن صاحب المذهب -الإمام أحمد مثلًا- لم يكن ليخفىٰ عليه هذا الدليل.

ولا شك أن العامِّيَّ فرضه التقليد وسؤال أهل العلم؛ ولكن إذا بلغه القول بدليله؛ فلا يجوز له أن يصِرّ ويعاند، فغايته طلب الحق، وبلغ الغلو في التقليد

ببعضهم إلىٰ أن قال: «ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قولَ الصحابي، والحديثَ الصحيحَ، والآيةَ، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالٌّ مضل، وربما أداه ذلك للكفر؛ لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر»[(١)]، نعوذ بالله!. يقول ابن القيم: «ويا لله العجب، كيف كان الصحابة والتابعون قبل وضع هذه القوانين التي أتىٰ الله بنيانها من القواعد، وقبل استخراج هذه الآراء والمقاييس والأوضاع؟ هل كانوا مهتدين مكتفين بالنصوص، أم كانوا علىٰ خلاف ذلك؟ حتىٰ جاء المتأخرون فكانوا أعلم منهم، وأهدىٰ، وأضبط للشريعة منهم، وأعلم بالله وأسمائه وصفاته، وما يجب له، وما يمتنع عليه منهم؟ فوالله لأن يلقىٰ الله عبده بكل ذنب ما خلا الإشراك - خير من أن يلقاه بهذا الظن الفاسد، والاعتقاد الباطل»[(٢)].

وهذا إذا كان التقليد في الفروع، فكيف بمن يقلِّد في الأصول، وفي (لا إله إلا الله)، مفتاح الجنة[(٣)]، التي لا يمكن أن يدخل الجنة بدونها؟! والله المستعان.

«**وَقَدْ يَقُولُهَا**»: أي: قد يقول الكلمة، «**وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُ إِلَىٰ اللهِ كَمَا ظَنَّ الْكُفَّارُ**» وفي بعض النسخ: «**المشركون**»، ولافرقَ.

«**خُصُوصًا إِنْ أَلْهَمه اللهُ مَا قَصَّ عَنْ قَوْمِ مُوسَىٰ عليه السلام، مَع صَلاحِهِمْ وَعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَتَوْهُ قَائِلِينَ: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]**»: فهؤلاء الصفوة من قوم

(١) ذكره الصاوي في حاشيته علىٰ تفسير الجلالين، (٣/ ١٣)، تحت تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف:٢٣].

(٢) إعلام الموقعين، (٥/ ٥١٩).

(٣) إشارة إلىٰ ما أخرجه البزار -وعزاه ابن رجب لأحمد في: المسند- برقم (٢٦٦٠)، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الجنة: شهادة أن لا إله إلا الله»، قال البزار: وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ بن جبل. وكذا قال ابن رجب في كلمة الإخلاص، (ص ١٤).

موسىٰ مع صلاحهم وعلمهم أتوه قائلين: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾.

وإذا كان إبراهيم عليه السلام الذي حطم الأصنام يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]؛ فماذا نقول نحن؟! ونحن علىٰ خطر عظيم في أيام فتن، كما قال ﷺ: «يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا»[(١)]، ونحن نرىٰ بعض من ينتسب إلىٰ الدعوة اليومَ علىٰ قول، وغدًا علىٰ قول يناقضه، والله المستعان.

«فَحِينَئِذٍ يَعْظُمُ خَوْفُه، وَحِرْصُه عَلَىٰ مَا يُخَلِّصُه مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ»: وهذا يكون بقدر استشعارك لنعمة التوحيد، التي هي أعظم النعم علىٰ الإطلاق، والتي هي معرَّضة للزوال عند عدم المحافظة عليها؛ فالخوف من زوالها يكون أشد، كما قال المؤلف في الفائدتين.

«وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ سُبْحَانهُ مِنْ حِكْمَتِهِ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا بِهَذَا التَوْحِيدِ إِلَّا جَعلَ لَهُ أَعْدَاءً، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]»: ما من نبي بُعِث إلا وعودي، وقد يستمر العداء له ولا يستجيب له أحد، ويبعث يوم القيامة وحده، وقد لا يستجيب له إلا النفر اليسير، الرجل والرجلان، وقد يكون معه الرهط[(٢)]، وقد يعاديه وينابذه أقرب الناس إليه، ويغري به أعداءه؛ قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث علىٰ مبادرة الأعمال قبل تظاهر الفتن،(١١٨)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) إشارة إلىٰ حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «عرضت عليّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد...» الحديث. أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق، (٥٧٥٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، (٢٢٠).

﴿نُوحٍ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ﴾ [التحريم:١٠]، وقد يكون ذلك من أولاده، كابن نوح، وقد يكون من قبيلته وعشيرته، كما حصل للنبي ﷺ في أول الأمر؛ فالمقصود أنه إذا جاء أحد للناس بما لم يألفوه؛ عادوه؛ لأن الناس أعداء ما يجهلون.

وقُدِّم شياطين الإنس علىٰ شياطين الجن؛ لأن شيطان الإنس قد يأتي إليك بصفة ناصح، ويزخرف القول، ويُلْبسه لباس الحق، وهذه حقيقة الشبهة التي تشتبه بالحق، ولا يكفي أن تستعيذ بالله منه كي ينصرف؛ بخلاف شيطان الجن، فإنه إذا استعذت بالله منه ؛خنس واندحر.

﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾؛ أي: يأتيك بكلام مُنَمَّق مزخرف، كما نسمع ونقرأ في كلام المتكلمين في وسائل الإعلام اليوم، يبنونه علىٰ مقدمات ونظريات، فإذا سمعه الإنسان؛ أُعجب به؛ ولكنه في حقيقته لا شيء:

حججٌ تهافتُ كالسرابِ تَخالها ... حقًّا وكلٌّ كاسرٌ مكسورُ[1]

فهذا يزعم أنه كاسر، وهو في الحقيقة مكسور، وأنه غالب، وهو في واقع الأمر مغلوب، وخصمه كذلك، فكلاهما يقع عليه اسم الفاعل واسم المفعول.

«وَقَدْ يكُونُ لأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَكُتُبٌ، وَحُجَجٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [غافر: ٨٣]»: لما انتشرت دعوة الشيخ ﷺ في الأقطار، جوبهت من قِبَل

(١) البيت بلا نسبة في: الانتصار لأهل الحديث لأبي المظفر السمعاني، (ص ٧٢)، وأكثر من ذكره التقي ابن تيمية، والشمس ابن القيم، ولابن الرومي، كما في: زهر الآداب وثمر الألباب، (٤/ ٩٢٢):

لذوي الجدال إذا غدَوا لجدالهم ... حُجَجٌ تضلُّ عن الهدىٰ وتَجُورُ

وُهُنٌ كآنيةِ الزُّجاج تَصَادمتْ ... فهوَت وكلٌّ كاسرٌ مَكْسورُ

فالقاتل المقتولُ ثَمَّ لضعفه ... ولوهيه، والآسر المأسورُ

أعداء الدعوة ممن ينتسب إلىٰ العلم، وعاندوها بما ظنوه حججًا مما عندهم من العلم، وقد يكونون متمكنين في فنون العربية، والأصول، والفقه، وعلوم الآلة، وقد يكون لهم يد في تفسير القرآن وشرح الأحاديث علىٰ طريقة المتكلمين؛ بل أكثر المفسِّرين والشراح علىٰ هذا المنوال؛ لكن هل استفادوا من كلام الله وكلام نبيه ﷺ في معرفة (لا إله إلا الله) التي تنجيهم من عذابه؟!

وإذا أردت أن تعرف قدر النعمة التي أنت فيها؛ فاقرأ في تفسير الرازي؛ مع أنه لا يُنصَح طالب العلم بقراءته؛ فهو من أضر الكتب علىٰ طالب العلم؛ لأنه يورِد الشُّبَه ويجلِّيْها ويوضِّحها بقوَّة، ثم يرد عليها ردًّا ضعيفًا، وهذا إذا كانت تخالف مذهبه، وإلا فالشبه التي تقرر مذهبه هو حاملُ لوائِها، ومن المنظِّرين لها؛ فمثلًا يقول في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]: «واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة أورد استدلال أصحابنا بهذه الآية في الكتاب الذي سماه «بالتوحيد»، وهو في الحقيقة كتاب الشرك، واعترض عليها، وأنا أذكر حاصل كلامه بعد حذف التطويلات؛ لأنه كان رجلًا مضطربَ الكلام، قليلَ الفهم، ناقصَ العقل»[(١)]، وهذا كله لأن ابن خزيمة يخالف ما يقرره، مع أن ابن خزيمة يطلق عليه العلماء – ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية – لقب «إمام الأئمة»[(٢)].

نعم في تفسير الرازي فوائد ونفائس، ولو انبرىٰ متمكِّن لإبراز هذه النفائس واستخراجها من هذا الكتاب؛ لاستغنىٰ الناس عنه، ولم يحتاجوا إليه.

(١) تفسير الرازي، (٢٧/ ٥٨٢).

(٢) ذكره شيخ الإسلام بهذا اللقب في مواضع كثير من كتبه، فلينظر: الفتوىٰ الحموية، (ص٢٠٨)، ومجموع الفتاوىٰ، (٦/ ٥٦٢)، وبيان تلبيس الجهمية، (٣/ ٤٠٩). وممن ذكره بهذا اللقب النووي في: المجموع، (١/ ٢٦٧)، وابن دقيق العيد في: الإمام، (١/ ٩٧)، والذهبي في: سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٣٦٥)، وابن القيم في: الصواعق المرسلة، (٤/ ١٣٠٣)، وابن كثير في: التفسير، (٥/ ٢٧١)، وابن أبي العز الحنفي في: شرح الطحاوية، (ص٢٨٩)، وابن حجر في: فتح الباري، (١/ ٤٨٥)، وغيرهم.

وكذا الكلام في تفسير الزمخشري؛ فإن فيه اعتزالياتٍ تستخرج بالمناقيش[١].

ومما يؤيد كلام المصنف: «**وَقَدْ يكُونُ لأَعْدَاءِ التَّوْحِيدِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ، وَكُتُبٌ**»: الواقع فللمجلسي الرافضي كتاب «بحار الأنوار» في مائة وعشرين مجلَّدًا، وليس عند أهل السنة كتاب واحد يبلغ هذا المقدار؛ إلا ما يذكر عن كتاب «الفنون» لابن عقيل، فإنه في مئات المجلدات[٢]؛ قال فيه ابن الجوزي: «وقع لي منه نحو من مائة وخمسين مجلدة»[٣]، ولابن عقيل مخالفة في باب الصفات[٤].

وقد يقول قائل: إن فلانًا من المبتدعة قد يُسأل عن مسألة فيجيب بمجلد، وقد يسأل العالم من أهل السنة ويجيب بكلمتين أو ثلاث بدليلها، وقد يجيب بكلام سهل يفهمه كل أحد حتىٰ العامي؛ كما هو حال الشيخ ابن باز ﷺ، فإنه إذا سُئل عن مسألة أجاب بكلام قليل مختصر سهل، فهل في هذا فضل علماء المبتدعة؟

**الجواب**: لا، وفي هذا الشأن يقول الحافظ ابن رجب ﷺ في «فضل علم السلف علىٰ علم الخلف»: «وقد ابتلينا بجهلة من الناس، يعتقدون في بعض من توسع في القول من المتأخرين أنه أعلم ممن تقدم، فمنهم من يظن في شخص أنه أعلم من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم؛ لكثرة بيانه ومقاله... فإن هؤلاء كلهم أقل كلامًا ممن جاء بعدهم، وهذا تنقص عظيم بالسلف الصالح، وإساءة ظن بهم، ونسبته لهم إلىٰ الجهل، وقصور العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٥]، ولو قرأتَ في فتاوىٰ

(١) قال البلقيني كما في: الإتقان للسيوطي، (٤/ ٢٤٣): «استخرجت من الكشاف اعتزالًا بالمناقيش».

(٢) قال الذهبي في: سير أعلام النبلاء، (١٩/ ٤٤٥): «هو أزيد من أربعمائة مجلد»، وقال ابن رجب في: ذيل طبقات الحنابلة، (١/ ٣٤٥): «وأخبرني أَبُو حفص عمر بن علي القزويني ببغداد، قَالَ: سمعتُ بعض مشايخنا يقول: هو ثمانمائة مجلدة».

(٣) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، (١/ ٣٤٤).

(٤) قال الذهبي في: ميزان الاعتدال، (٣/ ١٤٦): «خالف السلف، ووافق المعتزلة في عدة بدع».

(٥) ينظر: فضل علم السلف، (ص ٥).

الصحابة والتابعين لم تجد كلامًا كثيرًا، وإنما تجد الحكم ودليله.

وقد يقتضي المقام شيئًا من البسط، كأن يكون الخصم عنده علوم وشُبَه؛ فإنها تُنقَض ويُردُّ عليها، كما يفعل شيخ الإسلام ﷺ، فإنه قد يجيب على المسائل بكتب؛ لأن الخصوم عندهم من العلوم والشبُه ما تدعو الحاجة إلى اجتثاثها من أصولها، فيحتاج إلى التطويل.

«**إِذا عَرَفْتَ ذَلِكَ، وَعَرَفْتَ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى اللهِ لابُدَّ لَهُ مِنْ أَعْدَاءٍ قَاعِدِينَ عَلَيْهِ، أَهْلِ فَصَاحَةٍ وَعِلْمٍ وَحُجَجٍ**»: وشواهد الأحوال على هذا موجودة في الواقع الذي نعيشه؛ فإنه لا يقول عالم مخلِص كلمة حق، ولا يفتي عالِم بفتوى تبرأ بها الذمة، ويُصَدُّ بها الشَرُّ؛ إلا انبرى له الجَمُّ الغفير من الأشرار القاعدين على السبيل الذي اتخذوه، والمنهج الذي انتهجوه للصد عن دين الله، ثم تُنشَر أقوالهم وتُتلقَّف، وإذا أُريد الرد عليهم؛ فقد لا يتيسر نشره.

«**فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ**»: يخاطِب المؤلف طالِبَ العلم.

«**أَنْ تَعْلَمَ مِنْ دِينِ اللهِ مَا يَصِيرُ سِلاحًا**»: سلاح العلم المبني على الكتاب والسنة، «**تُقَاتِلُ بِهِ هَؤُلاءِ الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ قَالَ إِمَامُهُمْ، وَمُقَدَّمُهُمْ لِربكَ ﷻ: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾**»: أي: أنهم يسلكون الصراط المستقيم، ثم يجلس عليه الشيطان وأتباعه؛ ليصدوهم عنه[1].

«**﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٦- ١٧]**»: أي: لأجتهدن في إغوائهم بشتى الوسائل، ومن المشاهد اليوم أنَّ معارَضة الحق وأهله لا تقتصر على الكلام؛ بل يسلك أهل الباطل جميع السبل والطرق؛ للصد عنه ومحاربته.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير، (٣/ ٣٩٣).

وقد اجتال الشيطان كثيرًا من الناس، حتىٰ صار نصيبُه من الذين استجابوا له – بعثَ النار، في الألف تسعَمائة وتسعةً وتسعين(١)، وكما قال ابن القيم:

يــا ســلعةَ الــرحمنِ لــيس ينالُهــا فِي الألــفِ إلا واحــدٌ لا اثنــانِ(٢)

وإذا عرفنا أن هذه النسبة هي التي تدخل النار، والواحد هو الناجي، فإن علينا أن نكون في وجل وخوف من سوء العاقبة، كما كان سلف هذه الأمة وأئمتها يخافون منها أشد الخوف، فاحرص أن تكون من الناجين.

«وَلَكِنْ إِنْ أَقْبَلْتَ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-»: أي: إذا أقبلت علىٰ الله، وصدقت معه، والتجأت ورغبت إليه أن يعصمك من الفتن، ومما يناقض التوحيد؛ فإن الله ﷻ يؤيدك، ويثبتك، وينصرك.

«وَأَصْغَيْتَ إِلَىٰ حُجَجِ اللهِ، وَبَيِّنَاتِهِ»: أي: إذا قرأت القرآن وفيه من الحجج ما يكفي ويشفي؛ «فَلا تَخَفْ، وَلاَ تَحْزَنْ ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]»: مع أن نسبة من يتبع الشيطان تسعمائة وتسعةٌ وتسعون من ألف؛ فالشيخ يحثك ويغريك بأن تصدق مع الله، وتنكسر بين يديه، وتلجأ إليه أن يثبتك؛ وحينئذ أبشر.

«وَالْعَامِّيُّ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ يَغْلِبُ الأَلْفَ مِنْ عُلَمَاءِ هَؤُلاءِ الْمُشْرِكِين».

قد يُظن أن هذا الكلام لا يتفق أوله مع آخره؛ وذلك أن المفترض أن العامِّي من الموحدين الذي لا علم عنده يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين؛ فكيف

(١) أخرج البخاري، كتاب بدء الخلق، باب قصة يأجوج ومأجوج، (٣٣٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قوله: يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، (٢٢٢)، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يَقُولُ اللهُ -تَعَالَىٰ-: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ، قَالَ: وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟، قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ...» الحديث.

(٢) نونية ابن القيم، (ص٣٥٤).

يوجَّه كلام الشيخ؟

**الجواب**: أن العامِّي من الموحِّدين الذي يعرف معنىٰ (لا إله إلا الله)، ويعرف مقتضاها، وقد لازم أهل التحقيق والتحقق بها؛ فإنه وإن لم يكن لديه علم غزير؛ إلا أن مثله لا يمكن أن يؤثِّر عليه علماء الخلف المشركون؛ بل يغلبهم؛ لأنه فهم ما يتعلَّق بـ (لا إله إلا الله)، وما يناقضها، وسمع الأدلة؛ فتسلَّح بما سمعه من أهل العلم، مع أن هذا لا يخرجه عن كونه عاميًا.

وأما العامي الذي لا يعرف من هذا شيئًا، ويمشي بغير سلاح؛ فإنه عُرْضَة لأن يجترفه أدنىٰ شخص بأدنىٰ شبهة.

وقد أدركنا من العامة من لا يقرأ ولا يكتب؛ ولكنه من المحبين لمجالس العلم، ويسمَّون (محبِّين)، فيحضرون الدروس ومجالس العلم؛ ولكنهم لا يفهمون دقائق العلوم، فإذا قرر الشيخ مسألة ولا سيما في رأسِ المال التوحيدِ -وقد كان الاهتمام بالتوحيد أكثر مما نحن عليه الآن -؛ فهمَها هذا العامي، وتسلّح بما فهم، ووجدنا بعضهم يرد علىٰ بعض الناس ممن يتكلم في العقائد.

«**كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣]، **فَجُنْدُ اللهِ -تَعَالَىٰ- هُمُ الْغَالِبُونَ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ، كَمَا هُمُ الْغَالِبُونَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ، وَإِنَّمَا الْخَوْفُ عَلَىٰ الْمُوَحِّدِ الَّذِي يَسْلُكُ الطَّرِيقَ وَلَيْسَ مَعَهُ سِلاحٌ**»: فإنه كمن يدخل معركة دون سلاح، «كساعٍ إلىٰ الهيجاء بغير سلاح»[(١)]، فالذي يسعىٰ إلىٰ الهيجاء بغير سلاح مآله أن يُقتل.

(١) عجز بيت لمسكين الدارمي، وتمامه:

أخـــاك أخـــاك إنَّ مـــن لا أخًـــا لـــه كســـاعٍ إلـــىٰ الهيجـــاء بغيـــر ســـلاح

وينظر: الأمثال للقاسم بن سلام، (ص١٨١)، وتاريخ دمشق، (١٨/ ٥٣).

وكذلك الذي يسعىٰ إلىٰ المعركة التي مبناها علىٰ الأدلة العقلية المجرَّدة بغير سلاح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمآله أن يُغلَب؛ لأنه يسمع كلامًا منمَّقًا ومزخرفًا، فيفتن به.

وللأسف فإن كثيرًا من المتعلمين ممن ينتسب إلىٰ العلم -ليس لديهم سلاح، فيتأثرون بما يسمعون فيما يطرح من مناظرات ومحاضرات وندوات في وسائل الإعلام؛ لأن الإنسان لا بد أن يتأثر بما يسمع، فمن كان معه سلاح تأثَّر بالخير، ورد الشر، ومن لا سلاح معه قبِل كل وارد عليه.

«وَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا بِكِتَابِهِ الَّذِي جَعَلَهُ ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]»، وما يخفىٰ من المجمل بيَّنه النبيُّ ﷺ، كما في قوله تعالىٰ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، فهذه وظيفته ﷺ.

«فَلا يَأْتِي صَاحِبُ بِاطِلٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا وَفِي الْقُرْآنِ مَا يَنْقُضُهَا، وَيُبَيِّنُ بُطْلانَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: «هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»؛ ولكن قد يجيء صاحب باطل بحجة من القرآن، كالخوارج فلهم أدلة من القرآن، والمرجئة فلهم أدلة من القرآن، وكذا المعتزلة والأشاعرة؛ فكلهم يستدلون بأدلة من القرآن؛ ولكنهم يستدلون بالمتشابه، ويأخذون شيئًا، ويدعون ما يبينه ويوضحه.

ومذهب أهل السنة وسط بين الطوائف كلها، وفي مسائل الاعتقاد كلها؛ فتجدهم وسطًا بين الخوارج والمرجئة؛ لأنهم عملوا بما استدل به الخوارج، ووفَّقوا بينه وبين ما عمل به المرجئة، وكذا بين الروافض والنواصب، وبين القدرية والجبرية.

وقد يقول قائل: لماذا لم يأتِ القرآن بشيء بيِّن واضح فيه بدلًا من أن يأتي بهذا وهذا؟

**والجواب**: أن في ذلك حِكَمًا وفوائد، منها:

**الأولىٰ**: كي يحصل أجر الاجتهاد والاستنباط، والتعب في تقرير المسائل العلمية؛ فإن هذا نوع من الجهاد، وهو ابتلاء للمسلم وللعالم.

**الثانية**: أن القرآن علاج تعالَج به أمراض القلوب والأبدان والأعمال، فلو جئت إلىٰ مجتمع فيه غلوٌّ وتشدد؛ فإنه يورَد لهم من أدلة الرجاء والتسهيل ما يخفف الغلو والتشدد، ولو جئت إلىٰ مجتمع مفرِّط يقولون: (لا إله إلا الله)، ويتركون المأمورات، ولا يعملون من الأعمال شيئًا؛ فإنه يورَد عليه أدلة التشديد والترهيب.

فهذه فائدة وجود أدلة الفريقين، والموفَّق من يوفِّق بينهما.

**«كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾** [الفرقان: ٣٣]، **قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ: «هَذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ حُجَّةٍ يَأْتِي بِهَا أَهْلُ الْبَاطِلِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**.

فكل حجة يأتي بها صاحب باطل، سواء كانت من الكتاب أو السنة، ففي الكتاب أو السنة ما يوجِّهها الوجهة الصحيحة.

وعند المذاهب البدعية، كالروافض، والمعتزلة، والأشاعرة، والماتريدية، وغيرهم -شبهٌ، وكتبهم مملوءة بالشبه المؤثِّرة، كما ذكرنا عن تفسير الرازي وغيره، وقد يوردون هذه الشبه قبل الاستعداد لها، فيتأثر بها الناس؛ فكيف نعرف هذه الشبه؟ وهل ننتظر أن يلقوا هذه الشبه، أو نهجم علىٰ كتبهم ونستخرجها وننقضها؟

**الجواب**: أنه لا بد أن يوجَد مَن يرد عليهم بعد معرفة شبههم، غير أن هذا الكلام لا يوجَّه إلىٰ عموم الناس، ولا إلىٰ أوساط المتعلمين، وغير المتمكنين؛ وإنما يوجه إلىٰ أفذاذ الناس؛ لأن بعض الناس قد يقرأ في هذه الكتب ويعلق بقلبه شبهة لا يستطيع ردها.

فعلىٰ طالب العلم أن يتمكنَ في المذهب الصحيح، ويتزوَّدَ ويتسلَّحَ بسلاح العلم بنصوص الكتاب والسنة، ثم بعد ذلك إذا أراد أن يصد ويجاهد هؤلاء؛ فإن هذا جهاد القلم واللسان، وليس بأقل تأثيرًا من الجهاد بالسيف والسنان.

ومن أهل العلم من يتعيَّن عليه أن ينظر في هذه الكتب وينقضها، وقد قام بذلك أئمة الإسلام، وإن كان بعضهم يحذر من النظر في هذه الكتب، وكلامه متجه إلىٰ من يتأثر بها.

وقد كان شيخ الإسلام يقرأ كتب المخالفين، ويرد عليها من أصولهم وقواعدهم، كما يقول ابن القيم:

**ومـــن العجائـــب أنـــه بســـلاحهم أرداهـــمُ نحـــو الحضـــيض الـــداني**[1]

وشيخ الإسلام قد نظر في الكتب المحرفة من التوراة والإنجيل، ورد علىٰ اليهود والنصارىٰ؛ مع أن النبي ﷺ لما رأىٰ الصحيفة في يد عمر؛ غضب عليه[2].

وسبب ذلك أنه لا يوجد في ذلك الوقت ما يُخاف منه، فلا داعي لقراءتها، فلو كنتَ في مجتمع ليس فيه مخالفون، ولا تخشىٰ علىٰ العامة أن يتأثروا، فلا داعي أن تقرأ في كتب الشبه والضلال.

(١) نونية ابن القيم، (ص٢٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٥١٥٦)، من طريق مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب، أتىٰ النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه علىٰ النبي ﷺ فغضب، وقال: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**». وفي إسناده مجالد بن سعيد؛ وعامة الحفاظ علىٰ تضعيف حديثه، كما في: تهذيب الكمال، (٢٧/ ٢٢)، قال ابن حجر في: فتح الباري، (١٣/ ٥٢٥) بعد أن ذكر أسانيد هذا الحديث: «وهذه جميع طرق هذا الحديث، وهي وإن لم يكن فيها ما يحتج به؛ لكن مجموعها يقتضي أن لها أصلًا».

وقد كان الناس إلىٰ وقت قريب لا يطلعون علىٰ كتب المذاهب، وإنما يكتفون بما يردُّ علىٰ المخالفين بما دوّنه أهل السنة من الردِّ عليهم.

وأما الآن؛ فقد ظهر في المناظرات من يقول: «أنتم تدّعون، وتزعمون أنا نقول هذا، وليس بصحيح»، فحينئذ نطَّلع علىٰ كتبهم، ونقول: قال فلان، وقال فلان؛ ولكن الذي يطَّلع هو المتمكِّن من العلم، الذي لا يُخاف عليه، فهذا هو الذي له أن ينظر ويرد.

ولذا عِيْب علىٰ مَن حقَّق «منهاج السنة»، فجعل معه «منهاج الكرامة» لابن المطهِّر الرافضي[1]، وجعله في المقدمة، وهو لا شك مجتهِد في أن يذكر الأصل والرد عليه، ولكنه أخطأ؛ لأنه لا يؤمَن أن يأتي من يريده فيأخذه من المقدمة، ويترك رد شيخ الإسلام؛ ولذا لم يذكره مفردًا في الطبعات اللاحقة الكاملة، كما في طبعة جامعة الإمام وما بعدها.

وكتب شيخ الإسلام كلها نافعة ومفيدة، وإن كان في بعضها ما لا يفهمه كثير من المتعلمين؛ ففي المجلد الرابع من «منهاج السنة» أكثر من ثلاثمائة صفحة أشبه ما تكون بالطلاسم: لا يفهمها طالب العلم، وكذلك المجلد السادس من «درء تعارض العقل والنقل» قريب من هذا.

والمرسلين نبيِّنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

(١) هو: جمال الدين الحسين بن يوسف بن المطهر الحلي، عالم الشيعة وإمامهم، توفي سنة ٧٢٦هـ. ينظر: أعيان العصر،(٢/ ٢٩٢)، لسان الميزان، (٢/ ٣١٧).

## [الجواب المجمل على أهل الباطل]

«وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلامٍ احْتَجَّ بِهِ الْمُشْرِكُون فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا، فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ:

أَمَّا الْمُجْمَلُ؛ فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ، وَيَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَاحْذَرُوهُمْ».

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، أَوْ إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، أَوْ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، أَوْ ذَكَرَ كَلامًا لِلنَبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لاَ تَفْهَمُ مَعْنَىٰ الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ؛ فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبهمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ؛ وَمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّهُ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَىٰ الْمَلاَئِكَةِ، أَوْ الأَنْبِيَاءِ، أَوْ الأَوْلِيَاءِ مَع قَوْلِهِمْ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وَهَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ، لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاه، وَمَا ذَكَرْتَه لِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِن الْقُرْآنِ، أَوْ كَلاَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ، وَلكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلاَمَ اللهِ لاَ يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلاَمَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ يُخَالِفُ كَلاَمَ اللهِ ﷻ.

وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلكِنْ لا يَفْهَمُهُ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَلا تَسْتَهْوِنْهُ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥]».

## الشَّرْح

«وَأَنَا أَذْكُرُ لَكَ أَشْيَاءَ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ جَوَابًا لِكَلامٍ احْتَجَّ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَانِنَا عَلَيْنَا»: دعوة الشيخ ﷺ كان لها مناوئون؛ لأنها علىٰ خلاف ما اعتاده الناس، ففي كثير من الأقطار درج الناس علىٰ الخلل الكبير في توحيد الإلهية، وزعموا أن توحيد الربوبية كافٍ، وهذا هو الذي كان عليه مشركو قريش وغيرهم ممن بُعث الرسول ﷺ إليهم، فقد كانوا يقرون بتوحيد الربوبية كما تقدم، وما ذكره الشيخ إنما هو تمهيد لهذه الشبه.

«فَنَقُولُ: جَوَابُ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ طَرِيقَيْنِ: مُجْمَلٍ، وَمُفَصَّلٍ»: فالجواب المجمل الذي ذكره الشيخ ﷺ يصلح للرد علىٰ جميع الشبه التي سيأتي ذكرها عند المؤلف، وعلىٰ غيرها من الشبه، فينبغي أن يعتني به طالب العلم؛ فإنه عزيز نفيس جدًّا، إذا ضبطه طالب العلم استطاع أن يرد علىٰ كل شبهة ردًّا مجملًا، وإن لم يكن في نفس الشبهة التي يوردها صاحبها.

«أَمَّا الْمُجْمَلُ؛ فَهُوَ الأَمْرُ الْعَظِيمُ، وَالْفَائِدَةُ الْكَبِيرَةُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ، وَيَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَاحْذَرُوهُمْ».

المبتدعة يتشبثون بأدلة من الكتاب والسنة؛ بل حتىٰ غيرهم من أهل الملل الأخرىٰ، وقد يوردون علينا أشياء من كتابنا.

فمثلًا: النصراني الذي يقول بتعدد الآلهة قد يورد علىٰ المسلم مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فيقول من أجل أن يقرر عقيدة التثليث: إن أقل الجمع اثنان أو ثلاثة – علىٰ قول الجمهور –، فليس المنزِّل واحدًا، وإنما هو جمع.

ونقول له: إن هذا من الذين تتبعوا المتشابه، وترك قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وضمير الجمع كما يستعمل في الاثنين وما زاد، فإنه يستعمل في الواحد المعظِّم نفسَه؛ ففي صحيح البخاري في تفسير ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [يوسف:٢]: «والعرب توكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع؛ ليكون أثبت وأوكد»[(١)]، فالساذج من المسلمين، والذي لا علم عنده – قد يصير عنده لبس.

ولو جاء خارجي ومعتزلي وقال: صاحب الكبيرة خالدٌ مخلدٌ في النار؛ بدليل آية النساء: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾ [النساء: ٩٣]؛ قلنا له: وماذا تقول في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، والقتل دون الشرك.

ولذلك فإن الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا لما سأل الراهب: هل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ علىٰ رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟، ثم تنازعت فيه الملائكة فأدركته الرحمة[(٢)]، وهذا مقرر في شرعنا، ومسوق

(١) صحيح البخاري، (٦/ ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (٣٤٧٠)، ومسلم، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل إن قتل، (٢٧٦٦)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا.

سياق المدح لعلم هذا العالم.

فإن قيل: إن ابن عباس يقول: إن القتل ليس له توبة[١]، فنقول: إن كلام ابن عباس محتمل لأن يكون قد جاءه سائل يريد أن يقتل -كما ورد في بعض الآثار-، فقال له ابن عباس ذلك من أجل أن يردعه عن القتل[٢]، فلا يُستدل -والحال هذه- بكلام ابن عباس علىٰ الحكم المطلق العام.

﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾: أي: أنهم يريدون أن يفتنوا الناس عن دينهم، ويصرفوهم عنه.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾: الوقف علىٰ ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ هو قول جماهير القراء[٣]، ووقف مجاهد علىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، ومن وقف علىٰ لفظ الجلالة أراد ما استأثر الله بعلمه، ومنه الكيف الذي لا نعلمه نحن، ومن لم يقف أراد بالتأويل التفسير، فليس بين القولين تناقض في المعنىٰ[٤].

(١) أخرج البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، (٣٨٥٥)، ومسلم، كتاب التفسير، (٣٠٢٣)، عن سعيد بن جبير، قال: «قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمنًا متعمدًا من توبة؟ قال: لا، قال: فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلىٰ آخر الآية، قال: «هذه آية مكية نسختها آية مدنية»: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا﴾، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرج ابن أبي شيبة في: المصنف، (٥/ ٤٣٥) -وعزاه السيوطي في: الدر،(٢/ ٦٢٩) لعبد بن حميد والنحاس-: بسنده عن سعد بن عبيدة، قال: «جاء رجل إلىٰ ابن عباس، فقال: لمن قتل مؤمنًا توبة؟ قال: «لا إلا النار»، فلما ذهب، قال له جلساؤه: ما هكذا كنت تفتينا، كنت تفتينا أن لمن قتل مؤمنًا توبة مقبولة، فما بال اليوم؟ قال: «إِنِّي أَحْسِبُهُ رَجُلًا مُغْضَبًا يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَ مؤمنًا»، قال: فبعثوا في أثره، فوجدوه كذلك».

(٣) ينظر: تفسير الطبري، (٦/ ٢٠٤)، والتدمرية، (ص٩٠)، وتفسير ابن كثير، (٢/ ١١)، النشر في القراءات العشر (١/ ٢٣٢).

(٤) ينظر: الصفدية، (١/ ٢٩١)، بيان تلبيس الجهمية، (٨/ ٢٦٩).

وإطلاق التأويل بمعنىٰ التفسير اصطلاح دارج عند أهل العلم، ومن ذلك ما يقوله الطبري في تفسير كل آية: «القول في تأويل قوله تعالىٰ...»، ثم يذكر الآية، فهذا بمعنىٰ التأويل الذي قرره مجاهد هنا[١].

«وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ، وَيَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَاحْذَرُوهُمْ»: الحديث متفق عليه[٢]، فالأصل الذي يُرجع إليه عند التشابه هو المحكمات التي هي أم الكتاب؛ ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾، وقد سبق ذكر مثال فيما يورده نصراني، وفيما يورده خارجي أو معتزلي، وتم الجواب عنهما، والشيخ الآن يريد أن يمثل بما حصل في زمانه، وما واجهه وقابله به أعداؤه ومناوئوه.

«مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَالَ لَكَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]»: فنقول: إن هذا الكلام صحيح، وهذا كلام الله ﷻ، ولا أحد يخالف في أن ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ ولكن هذا المشرك يريد أن ينزع من هذه التزكية أنه يُنتفع بهم، ويريد من هذا الثناء أن يبرر شركه.

والآية ليس فيها دليل علىٰ أن أولياء الله يُدعَون من دون الله، أو أنهم يُتقرب إليهم بالنسك من دون الله، أو يستغاث بهم، ويستعان بهم فيما لا يقدرون عليه؛ فالآية لا تدل علىٰ شيء مما يناقض أصل الدين، وهو التوحيد.

«أَوْ إِنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، أَوْ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ»: الشفاعة حق؛ ولكنّ لها

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ، (٤/ ٦٨)، الصواعق المرسلة، (١/ ١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ﴾، (٤٥٤٧)، ومسلم، كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن...، (٢٦٦٥)، من حديث عائشة ﵂.

شروطًا، منها: إذن الله للشافع؛ فهل أَذِن الله ﷻ أن يشفع لك من تسأله الشفاعة وهو في قبره؟

**الجواب**: أنه لا يمكن للرسول ﷺ أو غيره أن يشفع قبل أن يستأذن، فيؤذنَ له.

ومنها: رضىٰ الله عن المشفوع له، والله لا يرضىٰ عن مشرك؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

«**أَوْ إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ**»: الأنبياء لهم جاه عند الله بلا ريب؛ ولكنْ كلّهم سيقولون يوم القيامة: «**نفسي نفسي**»[(١)]، فإذا طلبوا الشفاعة من الله فيما بعد، وأذن لهم، ورضي عن المشفوع له؛ فحينئذٍ يُنتفع بها.

«**أَوْ ذَكَرَ كَلاَمًا لِلنَبِيِّ ﷺ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَىٰ بَاطِلِهِ، وَأَنْتَ لاَ تَفْهَمُ مَعْنَىٰ الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ**»: بعض طلاب العلم في القنوات يتصدَّىٰ لمناظرة مبتدعة، وهو ضعيف البضاعة، فيُغلَب في المناظرة، فيكون فتنة لكل مفتون، يقال: «غُلِب فلان، وانقطع أهل السنة، ولو كان عندهم جواب لأجابوا به».

وتكلم أحدهم في مقابلة عن الاختلاط وتحريمه، وأورد النصوص، فاتصل به أحدهم وقال: ما رأيك فيما جاء في صحيح البخاري: «**كان الرجال والنساء يتوضؤون في زمان رسول الله ﷺ جميعا**»[(٢)] ؟، فلم يجد جوابًا.

والجواب عند أهل العلم معروف، وهو أن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة أفرادًا أو آحادًا[(٣)]، فالمعنىٰ أن كل رجل مع امرأته يتوضآن جميعًا، وقد

(١) كما في حديث الشفاعة، وقد تقدم تخريجه (ص ٢١).

(٢) كتاب الوضوء، باب وضوء الرجل مع امرأته، وفضل وضوء المرأة، (١٩٣)، من حديث عبد الله بن عمر ﷺ.

(٣) ينظر: المحصول للرازي، (٦/ ٩٨)، والفروق للقرافي، (٤/ ١٧٦). وقال ابن حجر في الفتح، =

ترجم عليه البخاري بقوله: «باب وضوء الرجل مع امرأته»[(١)]، ولم يبقَ إشكال.

ولكن الإشكال فيمن يتصدىٰ لمثل هذه الأمور وهو بغير سلاح، مع أن هذا أعظم من حرب السيف والسنان؛ لأن الشبه تلقىٰ علىٰ الناس فتفتنهم عن دينهم.

ولذلك لا يجوز لأحد أن يدخل في هذه المناظرات إلا بعد التمكُّن من العلم الذي يرد به هذه الشبهات.

«فَجَاوِبْهُ بِقَوْلِكَ: إِنَّ الله -تعالىٰ- ذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتْرُكُونَ الْمُحْكَمَ، وَيَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَ؛ وَمَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ أَنَّ اللهَ ذَكَرَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُقِرُّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ»: دلت أكثر من آية من كتاب الله علىٰ أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية؛ ولكنهم أشركوا في الألوهية، فصاروا يدعون معه غيره، ويذبحون لغيره، ويستغيثون بغيره، وإذا لجؤوا في الشدائد إلىٰ غيره، لم يغن عنهم إقرارهم بتوحيد الربوبية شيئًا؛ بل سُمُّوا مشركين، وقاتلهم النبي ﷺ حتىٰ أذعنوا.

«وَأَنَّهُ كَفَّرَهُمْ بِتَعَلُّقِهِمْ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ الأَنْبِيَاءِ، أَوْ الأَوْلِيَاءِ مَع قَوْلِهِمْ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]»: أي: بأنهم يعبدونهم ليشفعوا، أو يطلبون منهم الشفاعة، أو يعبدونهم ليقربوهم إلىٰ الله زلفىٰ، ولا يعبدونهم لذواتهم، كما في قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [يونس:١٨].

وهؤلاء المعاصرون الذين يعبدون الأولياء والأضرحة والمشاهد -كلامهم مطابق لكلام المشركين الأولين سواء بسواء؛ قال معمَّم من معممي الرافضة: «إذا كان عندكم بيت تطوفون به، فعندنا ضريح الإمام الحسين نطوف به، وإذا كان

= (١/ ٣٠٠): «الجواب أن يقال: لا مانع من الاجتماع قبل نزول الحجاب، وأما بعده؛ فيختص بالزوجات والمحارم».

(١) صحيح البخاري، (١/ ٥٠).

عندكم حجر أسود تقبلونه، فعندنا ما نقبله» ثم استمر في مقارنة ما عندهم من شرك بما عند أهل السنة من توحيد، وكأنهم لا ينتمون إلىٰ هذه الشريعة أصلًا، وهذه محادَّة ظاهرة، نسأل الله السلامة والعافية.

«وَهَذَا أَمْرٌ مُحْكَمٌ، لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَ مَعْنَاه»: فهم يقرون بتوحيد الربوبية، وشركهم إنما هو في الألوهية.

«وَمَا ذَكَرْتَه لِي أَيُّهَا الْمُشْرِكُ مِن الْقُرْآنِ، أَوْ كَلاَم رَسُولِ اللهِ ﷺ لا أَعْرِفُ مَعْنَاهُ»: وهذا مخاطَب به من لم يتمكن في العلم، فإن عليه أن يحفظ هذا الجواب المجمل ويفهمه؛ لأنه لا يعرف التفصيلات.

«وَلكِنْ أَقْطَعُ أَنَّ كَلاَمَ اللهِ لاَ يَتَنَاقَضُ، وَأَنَّ كَلاَمَ النَّبِيِّ ﷺ لاَ يُخَالِفُ كَلاَمَ اللهِ»: فهذا أمر مجزوم به، والذي يزعم أن كلام الله يتناقض، أو أن كلام النبي ﷺ يخالف كلام الله، فإنه يكفر، ولكن قد يوجَد تعارُض في الظاهر وفي الأفهام لا في الباطن والحقيقة.

وأهل العلم يجمعون بين ما ظاهره التعارض بأنواع معروفة من أنواع الجمع؛ حتىٰ إذا تعذر الجمع، وعرف المتقدم من المتأخر حكموا بالنسخ.

ولكنا نقطع ونجزم عقيدة جازمة بأن كلام الله لا يتعارَض في نفسه، ولا مع كلام رسوله ﷺ، وكذلك لا يمكن أن يتعارض النقل الصريح مع العقل الصحيح.

«وَهَذَا جَوَابٌ جَيِّدٌ سَدِيدٌ، وَلكِنْ لا يَفْهَمُهُ إلاَّ مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ-، وَلا تَسْتَهْوِنْهُ؛ فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت: ٣٥]»: وهذا من الدفع بالتي هي أحسن؛ ولكن معناه عام، فيشمله ويشمل غيره.

وأما الجواب المفصَّل؛ فبدأ الشيخ يسرد الشبه، والجواب عنها.

## [الجـواب المفصـل عـن شبهـات أهـل الباطـل]

### [الشبهة الأولى: نفي المخالف الشرك عن نفسه]

«وأَمَّا الْجَوَابُ الْمُفصَّلُ؛ فَإِنَّ أعْدَاءَ اللهِ لَهُم اعتِرَاضَاتٌ كَثِيرَة عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ، يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ، مِنْهَا قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لاَ نُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا؛ بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلاَ يَنْفَعُ، وَلا يَضُرُّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفعًا، وَلاَ ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ، أَوْ غَيْرِهِ، وَلكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِن اللهِ بِهِمْ.

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ لي أَيُّهَا الْمُبْطِلُ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لاَ تُدَبِّرُ شَيْئًا، وِإنَمَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ، وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَضَّحَهُ».

الشَّرْح

«وأَمَّا الْجَوَابُ الْمُفصَّلُ؛ فَإِنَّ أعْدَاءَ اللهِ لَهُمُ اعْتِرَاضَاتٌ كَثِيرَة عَلَىٰ دِينِ الرُّسُلِ، يَصُدُّونَ بِهَا النَّاسَ عَنْهُ، مِنْهَا قَوْلُهُمْ: نَحْنُ لاَ نُشْرِكُ باللهِ شَيْئًا؛ بَلْ نَشْهَدُ أَنَّهُ لا يَخْلُقُ، وَلا يَرْزُقُ، وَلاَ يَنْفَعُ، وَلا يَضُرُّ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفعًا، وَلاَ ضَرًّا، فَضْلًا عَنْ عَبْدِ الْقَادِرِ، أَوْ غَيْرِهِ؛ وَلكِنْ أَنَا مُذْنِبٌ، وَالصَّالِحُونَ لَهُمْ جَاهٌ عِنْدَ اللهِ، وَأَطْلُبُ مِن اللهِ بِهِمْ»:

وهذه هي الشبهة الأولىٰ، وهي: أنهم يقرون بالربوبية، ولا يشركون فيها، وأنهم

لم يقصدوا من الأنبياء والصالحين إلا الجاه والشفاعة.

قوله: «**عبد القادر**» أي: الجيلاني[(١)].

«**والصالحون لهم جاه عند الله**»: فهم يشبِّهون الله ﷻ بالمخلوق الذي يؤثر فيه الشفعاء، كمن يحتاج إلىٰ وزرائه وأعوانه، أو يخاف أذىٰ من جهتهم؛ فهو يشفِّعهم لأجل ذلك.

كما يشبهون الله أيضًا بمن لا يعرف حوائج عباده إلا بمن يعرفه بها؛ فهم يشبهون الله ﷻ بهذا المخلوق الذي لا يمكن أن يوصَل إليه إلا بالشفاعة.

وقد ترتب علىٰ فعلهم هذا أمران:

**الأمر الأول**: تشبيه الله بالمخلوق، وهذا بحد ذاته من عظائم الأمور، والعلماء قد كفَّروا المشبهة[(٢)]، وهذا منه.

**الأمر الثاني**: أن الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] في جميع الأمور، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ [الشورىٰ: ١١] ؛ فلا واسطة بين الله وبين خلقه فيما يرتفع إليه، وأما ما ينزل منه؛ فهناك الواسطة، وهو جبريل يبلغ النبي ﷺ، والنبي ﷺ يبلغ الأمة.

فالله ﷻ قريب مجيب، و«**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ**»[(٣)]، فلا يحتاج إلىٰ وسائط؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، بينما البشر أبوابهم مغلقة موصَدة، ولاسيما مَن صار له شأن، وقد يكون لهم حجة، أو

(١) هو: عبد القادر بن موسىٰ بن عبد الله الحسني، أبو محمد محيي الدين الجيلاني، تُنسب إليه الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، صنف: «الفتح الرباني»، و«الفيوضات الربانية»، وغيرهما، توفي سنة (٥٦١ هـ). ينظر: شذرات الذهب، (٤/ ١٩٨)، والأعلام، (٤/ ٤٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوىٰ، (٧/ ٥٠٧).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، (٤٨٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نوع عذر في ذلك؛ بأنهم لو فتحوه لحطَمهم الناس، فهم يغلقون أبوابهم تارة، ويفتحونها أخرىٰ.

«فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، وَهُوَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِمَا ذَكَرْتَ لي أَيُّهَا الْمُبْطِلُ، وَمُقِرُّونَ أَنَّ أَوْثَانَهُمْ لاَ تُدَبِّرُ شَيْئًا، وإِنَمَا أَرَادُوا مِمَّنْ قَصَدُوا الْجَاهَ وَالشَّفَاعَةَ»: فالذين أُرسل إليهم رسول الله ﷺ وقاتلهم يقرون بتوحيد الربوبية، كما تقر به أنت أيها المبطل؛ ولكنهم يشركون في الألوهية كما تشرك أنت.

«وَاقْرَأْ عَلَيْهِ مَا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَضَّحَهُ»: أي: مما قدمه الشيخ في إثبات أن المشركين معترفون بتوحيد الربوبية، وأنهم مقرون به، وأنه لم ينفعهم مع شركهم في الألوهية.

## ۞ [الشبهة الثانية: نزول الآيات فيمن يعبد الأصنام خاصة]

«فَإِنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، كَيفَ تَجْعَلُونَ الصَالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟

فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَارَ يَشْهَدُون بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للهِ، وَأَنَّهُمْ مَا أَرَادُوا مِمَّا قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ؛ وَلكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِين قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وَيَدْعُونَ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥]، وَاذْكُرْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ

لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[سبأ: ٤٠-٤١]، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١١٦]، فَقُلْ لَهُ: أَعَرَفْت أَنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ - أَيْضًا - مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

## الشَّرْح

«فَإِنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الآيَاتِ نَزَلَتْ فِيمَنْ يَعْبُدُ الأَصْنَامَ، كَيفَ تَجْعَلُونَ الصَالِحِينَ مِثْلَ الأَصْنَامِ؟ أَمْ كَيْفَ تَجْعَلُونَ الأَنْبِيَاءَ أَصْنَامًا؟»:

وهذه هي الشبهة الثانية، وهي: إذا قال لك هذا المشرك: كيف تجعلون هؤلاء الصالحين مثل الأصنام؟ فنحن ندعو الرسول ﷺ، ونستغيث به، ونستغيث بعبد القادر، وفلان من الصالحين والأولياء، وأولئك يستغيثون بأشجار، وأحجار، أفتجعلونهم مثل الأحجار والأشجار؟!

**ومما يقوله هذا المشرك:**

يـا أكـرمَ الخلـقِ مـا لـي مَـنْ ألـوذُ بـهِ ... سـواكَ عنـدَ حلـولِ الحـادثِ العَمِـمِ

فـإنَّ مـن جـودكَ الـدنيا وضـرَّتَها ... ومـن علومِـك علـمَ اللـوحِ والقلـمِ[1]

لم يترك لله شيئًا، نسأل الله العافية.

«فَجَاوِبْهُ بِمَا تَقَدَّمَ، فَإِنَّهُ إِذَا أَقَرَّ أَنَّ الْكُفَارَ يَشْهَدُون بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلِّهَا للهِ، وَأَنَّهُمْ مَا

(١) هما البيتان (١٥٣، ١٥٤) من بردة البوصيري، وقد رد عليه الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين في رسالة لطيفة. ينظر: الرد على البردة، (ص ٢٨).

**أَرَادُوا مِمَّا قَصَدُوا إِلَّا الشَّفَاعَةَ؛ وَلكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ»**: فمنهم من يدعو أصنامًا وأحجارًا؛ ولكن كيف يتصور أنهم يدعونها وهم يعرفون أنها لا تنفع ولا تضر، وأنها صخور وأشجار تؤثر فيها الرياح، والشمس، ويبول عليها الثعلب كما قال الشاعر:

أربٌّ يبـــــولُ الثُّعلُبـــــانُ برأســــــهِ ... لقـدْ هـانَ مـن بالَـتْ عليـهِ الثعالـبُ[1]

ولكن العقول إذا سُلِبَت؛ لم يستفد الإنسان من بقية اللحم والدم.

**«وَلكِنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ فِعْلِهِمْ وَفِعْلِهِ بِمَا ذَكَرَ، فَاذْكُرْ لَهُ أَنَّ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَصْنَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو الأَوْلِيَاءَ الَّذِين قَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾** [الإسراء: ٥٧]**»**:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾؛ أي: من دون الله ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾؛ أي: أن هؤلاء المعبودين يرجون رحمة الله، ويخافون عذابه، ففيهم أنبياء، وملائكة، وأولياء صالحون.

وبعض المفسرين يقول: إن المراد بهم الملائكة، فهم يعبدون الملائكة على ما سيأتي في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ [سبأ: ٤٠]، ومنهم من يقول: إنهم كانوا يعبدون بعض الجن، وكان هؤلاء الجن يتجاوبون معهم، ويعدونهم، وقد يقضون لهم بعض الحوائج، فأسلم هؤلاء

(١) نسبه ابن سعد في الطبقات الكبرى، (١/ ٣٠٨) إلى راشد بن عبد ربه، أحد الوفود الذين قدموا على رسول الله ﷺ بمكة، وقيل: إن قائله هو أبو ذر الغفاري رضي الله عنه. وينظر: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، (ص١٨٤). والثُّعلُبان ذكر الثعلب. ينظر: معجم ديوان الأدباء، (٢/ ٨١).

الجن، واستمر أولئك علىٰ عبادتهم[١].

فإذا كنتم أيها المشركون تعبدون أناسًا صالحين، فإن قوم نوح في أول الأمر قد عبدوا أناسًا صالحين، ومشركو العرب منهم من عبد الملائكة، والنصارىٰ عبدوا المسيح وأمَّه، واليهود عبدوا عزيرًا، فهل نفعهم ذلك؟!، أشركوا بالله معه غيره فحبطت أعمالهم؛ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر:٦٥].

«ويَدْعُونَ عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ، وَقَدْ قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]»: أي: أن من مات ولو كان نبيًا؛ لا ينفع ولا يضر، وإن كان عيسىٰ، أو النبي ﷺ، فهو حي في قبره حياةً برزخية أكملَ من حياة الشهداء؛ ولكنه لا يملك لنفسه ولا غيره نفعًا ولا ضرًّا، فلا يجوز أن يُصرف لهم شيء من أنواع العبادة مما لا يجوز صرفه إلا لله ﷻ؛ ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦].

«وَاذْكُرْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠- ٤١]»: أي: أنهم يعبدون الملائكة، ثم في القيامة يتبرؤون منهم ويقولون: «ما كانوا يعبدوننا»، وينزهون الله ﷻ أن يشرك بهم معه؛ لأن من يرضىٰ أن يُعبَد من دون الله؛ فهو طاغوت، وحاشا الملائكة والأنبياء والأولياء أن يرضوا أن يعبدهم أحد.

(١) ينظر: تفسير الطبري، (١٧/ ٤٧٢).

فهؤلاء عندما يدعو أحدهم عند القبر فيقول: «يا فلان أغثني»، قد يأتيه الجواب من القبر من باب الزيادة في الفتنة، وإنما المخاطب شيطان من شياطين الجن، أراد أن يفتنه، كما قرره شيخ الإسلام(١).

«وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾»: هذا تنزيه من عيسىٰ لله ﷻ من أن يكون معبودًا مع الله، وتبرؤٌ من هؤلاء الذين يعبدونهم.

«﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾»: يعني: لن يخفىٰ عليك، ومع كونه لا يخفىٰ علىٰ الله، فإن الله يريد أن يعذر إلىٰ الخلق؛ لئلا يكون لأحد حجة، ومن أجل أن يظهر في عالم الشهود، ويسمع هؤلاء الذين يعبدون المسيح من دون الله من كلام المسيح ما يرد عليهم، فالله أعلمُ ﷻ، وهو يسأل عيسىٰ هذا السؤال تقريرًا وجلاء للحق.

وإظهارُ ما كان في الغيب إلىٰ عالم الشهود كثيرٌ في أمور الآخرة؛ وإلا فما فائدة الميزان الذي توزَن به الأعمال؟! وهل يخفىٰ علىٰ الله أن تكون الأعمال الصالحة لهذا راجحة أو مرجوحة، أو أن تكون الأعمال السيئة لذاك راجحة أو مرجوحة؟! بل هو سبحانه لا تخفىٰ عليه خافية؛ ولكن ذلك لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة، ومن أجل أن يقتنع كلٌ بنفسه، فلا يقول: ظُلمتُ، ولم أرَ أعمالي؛ لذا يقال له: هذه كفة الحسنات، وهذه كفة السيئات، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء:٤٠].

(١) ينظر: قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، (ص١٥٢).

والجهمية يقولون: إن عيسىٰ مشبِّه؛ لأنه أثبت النفس لله كما أثبتها لنفسه، وهذا تشبيه بزعمهم[١] قاتلهم الله!

فيقال لهم: هذا كلام الله ﷻ، وهو أعلم به وبصفاته، وما يُثبَت له وما ينفىٰ عنه، وأن ما يتعلق بالله ﷻ يليق بذاته وجلاله وعظمته، وأن ما يتعلق بالمخلوق يليق به، وكل الأسماء والصفات تندرج تحت هذا، ونعوذ بالله من الزيغ.

«فَقُلْ لَهُ: أعَرَفْت أنَّ اللهَ كَفَّرَ مَنْ قَصَدَ الأَصْنَامَ، وَكَفَّرَ - أَيْضًا - مَنْ قَصَدَ الصَّالِحِينَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ»: ومع الأسف أنهم يُعبدون من دون الله، مع الدلائل الصريحة والحجج الدامغة في كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ؛ ولكن لا حيلة فيمن سبقت له الشقاوة.

## ۞ [الشبهة الثالثة: الاستغاثة بالأولياء رجاء شفاعتهم]

«فَإنْ قَالَ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُم، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُ الْمُدَبِّرُ، لا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِن الأَمْرِ شَيءٌ، وَلكِنْ أَقْصُدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ.

فَالْجَوَابُ: أنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، فَاقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) قال الإمام الذهبي في العلو، (ص١٩١): «قال ابن أبي حاتم في الرد علىٰ الجهمية: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، قال: بلغني عن ابن أبي دؤاد - يعني قاضي أيام المحنة - أنه قال: ثلاثة من الأنبياء مشبهة؛ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام؛ حيث يقول: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾، وموسىٰ عليه السلام؛ حيث يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ومحمد ﷺ؛ حيث قال: «إنكم ترون ربكم».
وحكىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوىٰ الحموية الكبرىٰ، (ص٥٣٢) هذا القول عن ثمامة بن الأشرس، من رؤوس الجهمية.

يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر: ٣]، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

**وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمَاً جيِّدًا؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا».**

## الشَّرْح

**«فَإِنْ قَالَ: الْكُفَّارُ يُرِيدُونَ مِنْهُم، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ هُوَ النَّافِعُ الضَّارُ الْمُدَبِّرُ، لا أُرِيدُ إِلَّا مِنْهُ، وَالصَّالِحُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِن الأَمْرِ شَيءٌ، وَلكِنْ أَقْصُدُهُمْ أَرْجُو مِنَ اللهِ شَفَاعَتَهُمْ»:**

هذه هي الشبهة الثالثة، وهي: أن الكفار يقولون: مدد يا عبد القادر، ومدد يا حسين، ومدد يا بدوي، يطلبون منهم أنفسِهم، وأما نحن؛ فلا نريد منهم، وإنما نريد من الله ﷻ، ونجزم ونقطع بأنه هو النافع الضار، المدبر، وبأن الصالحين ليس لهم من الأمر شيء، وإنما نقصدهم لشفاعتهم عند ربنا.

**«فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا قَوْلُ الْكُفَّارِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، واقْرَأْ عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ﴾ [الزمر: ٣]، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا

﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]»: أي: أن هذا ما شهد به الكفار، وهو باب توحيد الربوبية، فلا فرق بين هذا الكلام وبين كلام المشركين الأُوَل، كما في الآيات.

وقد يقول قائل: إذا كان الكفار لا يقرون بالبعث، وهؤلاء المشركون الذين يدعون مع الله؛ أولياء كانوا أم صالحين يعترفون بالبعث، أفلا يكون بينهما فرق؟

**فالجواب**: أنه لا فرق بينهم؛ فما داموا أوجدوا هذه الوسائط، ودعوهم، وذبحوا لهم، وصرفوا لهم أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها إلا لله؛ فهم مشركون، سواء آمنوا بالبعث أم كفروا به، فمن أقر بجميع شرائع الإسلام، وآمن بجميع أركان الإيمان، وأنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، وقامت عليه الحجة، فلا ينفعه إيمانه بما آمن به، وعمله فيما عمل به؛ قال تعالىٰ: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، والخطاب للرسول ﷺ.

فإن قيل: كيف يطلبون شفاعةً وهم لا يؤمنون بالبعث؟

**فالجواب**: أنهم يطلبون شفاعة في قضاء حوائجهم في الدنيا، وأما مشركو زماننا، والذين في وقت الشيخ؛ فقد كانوا يطلبون الشفاعة لهم لتقضىٰ حوائجهم في الدنيا والآخرة.

**«وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الشُّبَهَ الثَّلَاثَ هِيَ أَكْبَرُ مَا عِنْدَهُمْ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ وَضَّحَهَا فِي كِتَابِهِ، وَفَهِمْتَهَا فَهْمَاَ جيِّدًا؛ فَمَا بَعْدَهَا أَيْسَرُ مِنْهَا»**: علىٰ المسلم أن يتقن أولًا الجواب الذي جاء في المقدمة، وهو أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية؛ ولكن لم ينفعهم ذلك؛ لشركهم في الألوهية، وأن مشركي زماننا يشبهونهم سواء بسواء.

والمشركون في زماننا لهم شبه، وقد رد عليها الشيخ ﷺ في الوجه الأول

المجمل، وهذا أيضًا ينبغي أن يحفظ؛ لأنه رد عليهم وعلىٰ غيرهم، مثل ما ذُكِر في النصارىٰ، والمعتزلة والخوارج، وجميع الطوائف، فاحفظ آية آل عمران وطبِّقْها علىٰ واقعك، وعلىٰ جميع من يريد أن يحتج عليك بدليل، سواء من الكتاب أم من السنة، فهي نافعة جدًا فيمن يتعرَّض لمثل هذه المناظرات، ويُخشىٰ عليه من التأثر بها.

وتحصين المسلمين - سواء كانوا علماء، أم طلبة علم، أم عامة - لا بد منه، وإذا كان طلب الجواب علىٰ الشبه في السابق فرضَ كفاية، فهو في الحاضر فرض عين؛ لأن كل فئات المجتمع يتعرَّضون لمثل هذه الشبهات بسبب هذه القنوات، فالشبه دخلت في قعر البيوت، وأثَّرت علىٰ عوام الناس.

## ۞ [الشبهة الرابعة: الدعاء ليس عبادة]

«فَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الالْتِجَاءُ إِلَيْهِمْ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَة، فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلاَصَ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ، فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلاَصُ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنْ كان لاَ يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ، وَلاَ أَنْوَاعَهَا؛ فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، فَإِذَا أَعْلَمتهُ بِهَذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ هُوَ عِبَادَةٌ للهِ تَعَالَىٰ؟ فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، وَالدُّعَاءُ مِنَ الْعِبَادَةِ، فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا، أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فَلاَ بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فَإِذَا أَطَعْتَ اللهَ، وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذِهِ عِبَادَةٌ؟ فَلاَ بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لمخْلُوقٍ: نَبِيٍّ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ غَيْرِهِما، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟ فَلاَ بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، وَقُلْ لَهُ - أَيْضًا -: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِم الْقُرْآنُ:

هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلاَئِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلاَ بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟ وإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ، وَتَحْتَ قَهْرِ الله، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلكِنْ دَعَوْهُمْ، وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ والشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًا».

## الشَّرْح

«فَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الالْتِجَاءُ إِلَيْهِمْ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَة»:

هذه هي الشبهة الرابعة، والقائل هو المشرك من مشركي زماننا من المتأخرين الذين يدعون الأولياء، ويطوفون بالقبور والمشاهد.

«فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلاَصَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ، فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ»: أي: فقل له: أنت تقر أن الهدف الذي من أجله خلق الجن والإنس هو إخلاص العبادة؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، فلا بد أن يقول: نعم؛ لأن النصوص صريحة بهذا.

«فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَهُوَ إِخْلاَصُ الْعِبَادَةِ، وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ»: أي: فقل له: أنت مأمور بأن تشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن تعرف معنىٰ هذه الشهادة؛ لأنك لا يمكن أن تطبق ما أُمرت به إلا بعد أن تعرفه، فكيف تطبق شيئًا وأنت تجهله؟!

فأنت مأمور بالصلاة، فهل يمكن أن تصلي وأنت تجهل أحكام الصلاة؟! والرسول ﷺ يقول: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[1]، والرجل قد «يُصَلِّي سِتِّينَ سَنَةً

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، (٦٣١)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

مَا تُقْبَلُ لَهُ صَلَاةٌ»[(١)]؛ لأنه يأتي بما يبطلها.

وصلىٰ بجانبي مرة في الحرم شخص من الهند أو باكستان، تظهر عليه علامات الصلاح، وجهه منور، ولحيته بيضاء كثَّة، فصلىٰ علىٰ كرسي، وأخذ يصلحه، ويقدمه ويؤخره حتىٰ رفع الإمام من الركوع وسجد، ثم هوىٰ هذا الشخص ساجدًا، فلما أتممنا الصلاة لم يأتِ بركعة، فقلت له: قد فاتتك الركعة الأولىٰ، فقال: أنا أدركت السجود، فقلت له: لا إدراك إلا بالركوع، وليس بالسجود، فلم يقتنع بكلامي.

والعلماء يختلفون بما تدرك الركعة: بإدراك الركوع، أو بإدراك الفاتحة، والثاني مذهب معروف[(٢)]، ولم يقل أحد معتبر أنها تدرك بالسجود.

فعلىٰ المسلم أن يعرف معنىٰ الشهادتين؛ لئلا يأتي ما يناقضهما وهو لا يشعر، وكذلك الصلاة، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

قوله: «فَإِن كان لاَ يَعْرِفُ الْعِبَادَةَ، وَلاَ أَنْوَاعَهَا؛ فَبَيِّنْهَا لَهُ بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، فَإِذَا أَعْلَمتهُ بِهَذَا، فَقُلْ لَهُ: هَلْ هُوَ عِبَادَةٌ للهِ تَعَالَىٰ؟»: أي: تقول له: الله أمرك بالدعاء، فهل الدعاء عبادة أم لا؟ «فَلاَ بُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، وَالدُّعَاءُ مِن الْعِبَادَةِ»، وجاء في المسند والسنن بلفظ: «الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»[(٣)]، ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، (٢٩٨٠) موقوفًا علىٰ أبي هريرة ﷺ.

(٢) روي هذا عن أبي هريرة، وإليه ذهب البخاري، ووافقه عليه ابن خزيمة، والصبغي من الشافعية، وقال به بعض الظاهرية، وقواه تقي الدين السبكي، ورجحه المقبلي. ينظر: القراءة خلف الإمام، (ص٦)، وما بعدها، وفتح الباري لابن رجب، (٧/ ١١١)، وعون المعبود، (٣/ ١٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (١٨٣٥٢)، وأبو داود، أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء، (١٤٧٩)، والترمذي، أبواب القراءات، باب ومن سورة البقرة، (٢٩٦٩)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء، (٣٨٢٨)، والنسائي في الكبرىٰ، (١١٥٧٦)، من حديث النعمان بن بشير ﷺ، وصححه ابن حبان في: التقاسيم والأنواع، (١/ ٢٨٢)، وقال الحاكم في المستدرك، (١/ ٦٦٧): «صحيح الإسناد»، وأقره الذهبي، وصححه النووي في: الأذكار، (ص٣٨٧).

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

«فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهَا عِبَادَةٌ، وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، خَوْفًا وَطَمَعًا، ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ نَبِيًّا، أَوْ غَيْرَهُ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ»: أي: إذا كنت تدعو الله ليلًا ونهارًا، وسرًّا وعلانيةً، خوفًا وطمعًا، ولكن حزبك أمر فلجأتَ إلىٰ غيره، وأنت تقر بأن الدعاء عبادة؛ بل هو العبادة، فهل تكون أشركت أو لا؟ فلا بد أن يقول: نعم.

«فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]، فَإِذَا أَطَعْتَ اللهَ، وَنَحَرْتَ لَهُ، هَلْ هَذِهِ عِبَادَةٌ ؟ فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لمخْلُوقٍ: نَبِيٍّ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ غَيْرِهِمَ، هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟ فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ»: أنت مأمور بالصلاة، كما أنك مأمور بالنحر، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، فلا بد أن يقر، ويقول: نعم.

والشيخ مثَّل بالدعاء، وبالذبح، فالأول من أظهر العبادات القولية، والآخر من أظهر العبادات الفعلية.

«وَقُلْ لَهُ - أَيْضًا -: الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلاَئِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟ فَلاَبُدَّ أن يَقُولَ: نَعَمْ، فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟ وإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ، وَتَحْتَ قَهْرِ اللهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ؛ وَلكِنْ دَعَوْهُمْ، وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلجَاهِ والشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًا»: أي: أن مشركي العرب يقرون بأن الذين يعبدونهم من الملائكة، والأنبياء، والأولياء، وغيرهم، عبيدٌ لله ﷻ، ومسخرون مؤتمرون بأمره، فهل كانت عبادة المشركين إياهم في الدعاء والذبح إلا لطلب الشفاعة، وليقربوهم إلىٰ الله زلفىٰ؟! وأنتم تقولون هذا، فما الفرق بينكم وبينهم؟!

بل إن من الرافضة من يزعم أن هؤلاء المدعوِّين يتصرفون في الكون، ومنهم من يؤمن بأن عليًا لم يمت، وبرجعته في آخر الزمان، وأنه الآن في السحاب يُصرِّف الكون(١)، ويقوله غلاة الصوفية في أوليائهم ومعبوديهم.

## [الشبهة الخامسة: الرمي بإنكار الشفاعة]

«فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟ فَقُلْ: لاَ أُنْكِرُهَا، وَلاَ أَتَبَرَّأُ مِنْهَا؛ بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ؛ وَلكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وَلاَ تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَلاَ يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَهُوَ لاَ يَرْضىٰ إِلَّا التَّوْحِيدَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلاَ تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ، وَلاَ يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلاَ غَيْرُهُ فِي أَحدٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلاَ يَأْذَنُ إِلَّا لأَهْلِ التَّوْحِيدِ - تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّه، وَأَطْلُبُهَا مِنْهُ فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَه، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالَ هَذَا».

### الشَّرح

«فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا ؟»: هذه هي عادة أهل الضلال؛ إذا أُنكر عليهم لجؤوا إلىٰ شيء ينفِّرُون به العامة، فحينما يُمنَعون من الإشراك به ﷺ مع الله، يقولون: أنتم لا تحبون الرسول ﷺ؛ حتىٰ قالوا من أجل تنفير العامة: إنكم تقولون: إن عصا أحدِنا أنفع له من رسول الله ﷺ!

(١) ينظر: التنبيه والرد للملطي، (ص:١٩)، مجموع الفتاوىٰ، (١١/ ٤٤٣).

وحاشا وكلا؛ فالرسول ﷺ الذي يجب أن نحبَّه أكثرَ من حبنا لأنفسنا، ومن الناس أجمعين، قد أحببناه؛ لأن الله ﷻ نفعنا به، وأنقذنا به، فكيف لنا أن نقول: إن العصا أنفع منه؟! ولكنهم يقولون هذا من باب التنفير.

ومن أساليبهم أيضًا قولهم: إنكم تقولون: إن «دلائل الخيرات»[(١)] المشتمل علىٰ صيغ من الصلوات والسلام عليه ﷺ كتابٌ مبتدَعٌ مخترَعٌ، وأن هذه الصلوات لا دليل عليها؛ بل أوصىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتحريقه؛ قال الصنعاني في منظومته التي يمدح فيها الشيخ:

**وحـــرَّق عمـــدًا للـــدلائل دفتـــرا أصـاب ففيهـا مـا يجـل عـن العـد**[(٢)]

والدلائل وِرد يجب أن يُقرَأ عندهم في كل يوم، وهو منتشر في كثير من الأقطار؛ وطُبِع بأفخر الطبعات، وقد رأيت له طبعة لم أرَ حتىٰ المصحف طُبِع مثلها.

ويقال لهم: من الذي يرىٰ من الأئمة الأربعة أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ ركنٌ في الصلاة تبطل بتركها؟ لم يقل بذلك إلا الإمام أحمد[(٣)]، والشيخُ محمدُ بن عبد الوهاب وأتباعُه تبعٌ لمذهب الإمام أحمد، كما قال الشيخ عبد الله بن محمد في رسالته إلىٰ أهل مكة: «ونحن في الفروع في الأصل علىٰ مذهب الإمام أحمد»[(٤)]، ولكن لا يعني ذلك أنه يقلد الإمام فيما يرىٰ أن قوله مخالف للدليل؛ فكيف يقال -والحال هذه-: إنكم لا تحبون الرسول ﷺ؟! وإنما هو أسلوب من أساليبهم؛ لتنفير الجهال من هذه الدعوة.

ومن أساليبهم في التنفير قولهم: لو كنتم تحبون الرسول ﷺ؛ لكان لمثل كتاب

(١) مؤلفه هو: محمد بن سليمان الجُزولي المالكي، المتوفىٰ سنة (٨٧٠هـ).
(٢) ينظر: المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، (ص ٢٣٣).
(٣) ينظر: المغني، (١/ ٣٨٨).
(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (١/ ٢٢٧).

«الشفاء» للقاضي عياض شأنٌ عظيم عندكم.

وهذا الكتاب في شمائله ﷺ، وفي التعريف بحقوقه، وله شأن عظيم في كثير من الأقطار الإسلامية، والقاضي عياض ﷺ أجاد في تصنيفه، ولكن الإشكال أن فيه نفسَ غلوٍّ، وشروحه فيها ضروب من الغلو لا يرتضيها موحِّد، وما جاء في حقوقه ﷺ وفضائله وشمائله ودلائل نبوته محفوظ في الصحيحين وغيرهما من دواوين الإسلام، وأهل هذه البلاد وأتباع هذه الدعوة على عناية تامة بها.

ولو عُلِّق على ما يُرَى أن فيه مخالفةً في الشفاء، لانتفع به الناس؛ لأن فيه فائدة كبيرة ونفعًا عظيمًا.

وقد طُبِع «الشفاء» طبعات فاخرة جدًا، ولا ريب أن هذا ضرب من الغلو كذلك.

والخصائص النبوية لها دخل في هذا الباب، وجاءت بها الأدلة الشرعية، والنصوص الصحيحة؛ كما في قوله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي...**»[(١)].

قال بعض العلماء: الخصائص لا تقبل التخصيص، وهذا معروف عن ابن عبد البر[(٢)]، ونصره ابن حجر[(٣)]؛ وذلك لأن الخصائص تشريف للنبي ﷺ، والتخصيص تقليل لهذا التشريف.

وقد جاء النهي عن الصلاة في المقبرة، فالذي يرى أن الخصائص لا تقبل التخصيص يقول: لا نخصص ولا نُقَيِّد؛ لأن التخصيص تقليل، والرسول ﷺ

(١) أخرجه البخاري، كتاب التيمم، (٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (٥٢١)، من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) ينظر: التمهيد، (١/ ١٦٨).

(٣) ينظر: فتح الباري، (١/ ٥٣٣).

يقـول: «**وَجُعِلَـتْ لِـي الأَرْضُ مَسْـجِدًا وَطَهُـورًا**»، وهـذا نـص عـام، وهـو مـن خصائصه ﷺ، وتخصيصها تقليل.

فيقال: إن التخصيص هنا من أجل حماية التوحيد؛ لأن الصلاة في القبور تدعو إلىٰ تعظيم المقبورين، وتجرُّ إلىٰ شيء من أنواع الشرك، ولذلك قال ﷺ: «**لَا تُصَلُّوا إِلَىٰ الْقُبُورِ**»(١) ، وجاء أيضًا النهي عنه الصلاة في المقبرة(٢)، وكل هذا حمايةٌ لجناب التوحيد، ومحافظةٌ علىٰ حق الله ﷻ.

والنبي ﷺ وإن كان عندنا بمنزلة سَنِيَّة رفيعة لا يدانيها مخلوق؛ إلا أنه إذا تعارَض حق الله ﷻ مع حق نبيه ﷺ، فالمقدَّم في هذا حق الله -تعالىٰ-، ولاسيما في أصل الأصول، وهو التوحيد، وما يضادّه من الشرك.

وحينما يورِد الشيخ ﷺ هذه الشبه من أولئك المناوئين والمخالفين لدعوته، فلا يعني أننا نتنقص الرسول ﷺ، أو نبخس حقه، فالرسول ﷺ يقول: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى** ﴾ [آل عمران:٣١]، وكيف نتبعه ونحن نخالف ما جاء عنه في قوله: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ**»(٣)؟!، فلا يمكن أن نحبه ﷺ،

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس علىٰ القبر والصلاة عليه، (٩٧١)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) ورد النهي عن الصلاة في المقبرة في عدة روايات، أصحها: ما أخرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها، (٤٩٣)، والترمذي، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام، (٣١٧)، وابن ماجه، أبواب المساجد والجماعات، باب المواضع التي يكره فيها الصلاة، (٧٤٥)، وأحمد، (١١٧٨٤)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالحَمَّامَ**». وصححه ابن تيمية في: اقتضاء الصراط، (٢/ ١٨٩).

(٣) أخرجه النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصىٰ، (٣٠٥٧)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصىٰ الرمي، (٣٠٢٩)، وأحمد (١٨٥١)، من حديث ابن عباس ﷺ، وصححه النووي في المجموع، (٨/ ١٧١)، وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، (١/ ٣٢٨).

أو نحب الله إلا باتباعه ﷺ، فهذه هي المحبة الحقيقية، وأما الدعاوىٰ، وإنشاد القصائد، والتمايل أثناء ذكره؛ فهذا لا ينفع مع مخالفة أمره وارتكاب نهيه.

يقول الشيخ في هذه الشبهة: «**فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟**»: لما أنكر الشيخ رحمه الله طلب الشفاعة منه ﷺ وهو في قبره، قالوا له: أنت تنكر الشفاعة؛ والرسول والأولياء لهم حق، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، فهل تنكرون حقهم؟ أجاب الشيخ رحمه الله بقوله:

«**فَقُلْ: لاَ أُنْكِرُهَا، وَلاَ أَتبَرَّأُ مِنْهَا؛ بل هُوَ ﷺ الشَّافِعُ الْمُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ**»: أول شافع يؤذن له في الشفاعة هو الرسول ﷺ، كما في الصحاح، وغيرها[(١)].

«**وَلكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا للهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾** [الزمر: ٤٤]»: هل تطلب هذه الشفاعة منه ﷺ أو ممن يملكها؟ الجواب: تطلب من الذي يملكها؛ والشفاعة كلها لله، كما قال جل وعلا: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾، واللام للملك، كما قال ابن مالك:

**اللام للمِلك وشبهِه وفي تعديةٍ أيضا وتعليلٍ قفي**[(٢)]

فإذا قلت: المال لزيد؛ أي: هو المالك لهذا المال، وإذا قلت: الجُلُّ للفرس،

(١) من ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل، المعروف بحديث الشفاعة، وهو مخرج عند البخاري في: صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (٦٥٦٥)، ومسلم في: صحيحه، كتاب الإيمان، باب أدنىٰ أهل الجنة منزلة، (١٩٣)، وفيه: «**فَيَأْتُونِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَىٰ رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ رَأْسَكَ: سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**».
ومن ذلك -أيضًا- ما أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تبَعًا**».

(٢) ألفية ابن مالك، (ص٣٥).

والقفل للباب، والباب للدار؛ فهذه كلها لشبه الملك، وليس بملك[١].

«وَلاَ تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَلاَ يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَهُوَ لاَ يَرْضىٰ إِلَّا التَّوْحِيدَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]»: فلا بد أن يأذن الله ﷻ للشافع، ويرضىٰ عنه وعن المشفوع له، والله ﷻ لا يرضىٰ إلا الإسلام، ولا يرضىٰ لعباده الشرك والكفر، فمن أشرك؛ فلا يرضىٰ أن يشفع له النبي ﷺ أو غيره، ولا يأذن سبحانه بذلك.

«فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلاَ تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ، وَلاَ يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلاَ غَيرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلاَ يَأْذَنُ إِلَّا لأَهْلِ التَّوْحِيدِ، تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّه»: أي: أننا نثبت الشفاعة للرسول ﷺ، وهذا أمر مقطوع به، ومعلوم من الدين بالضرورة، وثبتت به الأدلة القطعية؛ ولكنها لا تُطلَب إلا ممن يملكها.

«وَأَطْلُبُهَا مِنْهُ فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَه، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ، وَأَمْثَالُ هَذَا»: فالطلب من الله ﷻ.

## ۞ [الشبهة السادسة: الاستغاثة طلب للشفاعة الممنوحة من الله]

«فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَطَلَبُكَ مِنَ اللهِ شَفَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ عِبَادَةٌ، وَاللهُ نَهَاكَ أَنْ تُشْرِكَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ أَحَدًا، فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشَفِّعَهُ فيكَ، فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟

(١) ينظر: شرح التسهيل، (٣/ ١٤٤)، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، (١/ ١٣٣).

مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَعْطَاهُم الشَّفَاعَةَ، فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟

فَإِنْ قُلْتَ هَذَا، رَجَعْتَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ التِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَإِنْ قُلْتَ: لَا، بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ ممَّا أَعْطَاهُ الله».

## الشَّــرْح

«فَإِنْ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ أُعْطِيَ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ»: مثال تنظيرهم: أُعطِيَ زيدٌ من بيت المال مالًا كثيرًا، وقيل له: تصرَّف فيه، وأعط منه من ينتفع به من طلاب العلم، وشُرط عليه ألا يعطي إلا من هذا وصفه، أو بعد الاستئذان ممن أعطاه، فجاءه فقير، أو قريب، وطلب منه أن يعطيه من هذا المال، فهل يجوز له أن يتعدىٰ الشرط؟

وكذلك الله ﷻ أعطىٰ النبي ﷺ الشفاعة؛ ولكن بشرط أن يأذن له، وأن يرضىٰ عن المشفوع له.

«فَالْجَوَابُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الشَّفَاعَةَ، وَنَهَاكَ عَنْ هَذَا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وَطَلَبُكَ مِنَ اللهِ شَفَاعَةَ نَبِيِّهِ ﷺ عِبَادَةٌ، وَاللهُ نَهَاكَ أَنْ تُشْرِكَ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ أَحَدًا، فَإِذَا كُنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُشَفِّعَهُ فيكَ؛ فَأَطِعْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾»: أي: فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة، ونهاك عن الإشراك، فقال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، فأنت يجوز لك أن تدعو الله بمثل قولك: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه فيَّ، ولكن لا تطلبها منه قبل أن يؤذن له؛ فهي عطية مشروطة بالشرطين المتقدمين المنصوص عليهما في كتاب الله ﷻ.

فإذا كنت تدعو الله، -ولعل اختيار الدعاء هنا؛ لأنه يدعو النبي ﷺ-، فصاحب الشبهة يدعو الشفاعة منه ﷺ.

وقد يكون الدعاء بمعنىٰ الرجاء، فإن كنت ترجو الله أن يشفع نبيه فيك، فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

«وَأَيْضًا فَإِنَّ الشَّفَاعَةَ أُعْطِيَهَا غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَحَّ أَنَّ الْمَلاَئِكَةَ يَشْفَعُونَ، وَالأَفْرَاطَ يَشْفَعُونَ، وَالأَوْلِيَاءَ يَشْفَعُونَ، أَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ أَعْطَاهُم الشَّفَاعَةَ، فَأَطْلُبُهَا مِنْهُمْ؟ فَإِنْ قُلْتَ هَذَا، رَجَعْتَ إِلَىٰ عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ التِي ذَكَرَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ»: هذا جواب ثانٍ، وهو أنه صح أن الملائكة يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، والشهداء يشفعون[(١)]؛ فهل تأتي إلىٰ قبر فَرَط -طفل صغير[(٢)]- وتطلب منه الشفاعة، أو تقول للملائكة، أو الأولياء: اشفعوا لي، أو توسطوا لي؟

فإن قلت هذا، رجعت إلىٰ عبادة الصالحين الذين تزعم أنهم شفعاؤك عند الله قبل أن يُؤذَن لهم بذلك؛ فإنهم أُعطوا الشفاعة؛ ولكن في وقتها، والنبي ﷺ الذي هو

(١) أما شفاعة الملائكة والأولياء؛ فقد أخرج البخاري في: صحيحه، كتاب التوحيد، باب ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، (٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ».
وأما شفاعة الأفراط؛ فقد أخرج مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، (٢٦٣٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ».
وأما شفاعة الشهداء؛ فقد أخرج الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب في ثواب الشهيد، (١٦٦٣)، وابن ماجه، أبواب الجهاد، باب فضل الشهادة في سبيل الله، (٢٧٩٩)، وأحمد، (١٧١٨٢) من حديث المقدام بن معديكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ -وذكر منها-: وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ». وقال الترمذي عقبه: «حديث صحيح غريب»، وحسنه ابن القطان في: بيان الوهم والإيهام، (٥/ ١٦١).

(٢) الأفراط: جمع فرَط، وهو الصغير يموت قبل والده. ينظر: النهاية، (٣/ ٤٣٤).

أشرفهم، لا يشفع ابتداء حتىٰ يسجد تحت العرش، ويدعو الله ﷻ، ويطيل الدعاء حتىٰ يؤذَن ويقال له: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»[1].

«وَإِنْ قُلْتَ: لاَ، بَطَلَ قَوْلُكَ: أَعْطَاهُ اللهُ الشَّفَاعَةَ، وَأَنَا أَطْلُبُهُ ممَّا أَعْطَاهُ الله»: أي: إن قلت: أنا لا أطلب الشفاعة من الملائكة، أو الأولياء، أو الأطفال، أو من أحد آخر؛ لأن هذا شرك الأولين، وشرك العرب في الجاهلية، كما في قولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾ [الزمر:٣]، وقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

نقول: ودعاء النبي ﷺ دون الله ﷻ أيضًا شركٌ، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨].

### [الشبهة السابعة: الالتجاء إلى الصالحين ليس شِركًا]

«فَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلَّا، وَلكِن الالْتِجَاء إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ، فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مَنْ تَحْرِيم الزِّنا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي عَظَّمَهُ الله، وَذَكَرَ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي، فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِن الشِّرْكِ وَأَنْتَ لاَ تَعْرِفُهُ؟ كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ وَلاَ تَسْأَلُ عَنْهُ، وَلاَ تَعْرِفُهُ؟ أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ ﷻ يُحَرِّمُهُ، وَلاَ يُبَيِّنُهُ لَنَا؟!»

## الشَّـرْح

«فَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، حَاشَا وَكَلَّا؛ وَلكِن الالْتِجَاء إِلَىٰ الصَّالِحِينَ لَيْسَ بِشِرْكٍ، فَقُلْ لَهُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ الشِّرْكَ أَعْظَمَ مَنْ تَحْرِيم الزِّنا، وَتُقِرُّ أَنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُهُ، فَمَا هَذَا الأَمْرُ الَّذِي عَظَّمَهُ الله، وَذَكَرَ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي»: أي: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك، وأنه أعظم من جميع المحرمات، وأن الله لا يغفره؛

(١) تقدم تخريجه، (ص ٢١).

لأنك تقرأ كما يقرأ غيرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨]؛ وتلتجئ إلىٰ الصالحين وتدعوهم من دون الله، وتقول: إن هذا ليس بشرك؛ فما هو الشرك؟!؛ قطعًا لا يعرف معنىٰ الشرك.

«فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ تُبَرِّئُ نَفْسَكَ مِن الشِّرْكِ وَأَنْتَ لاَ تَعْرِفُهُ؟»: كَيْفَ يُحَرِّمُ اللهُ عَلَيْكَ هَذَا، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُهُ وَلاَ تَسْأَلُ عَنْهُ، وَلاَ تَعْرِفُهُ؟»: فلو أن الإنسان خشي من الإصابة بمرض عضال، فسيسأل عن المسببات لهذا المرض، وإذا وجد أعراضه ذهب وهرع إلىٰ الأطباء، باحثًا عن الخلاص مما أصابه، وإذا كان هذا في شأن مرض البدن فكيف بالتوحيد الذي هو رأس مال المسلم؟! بل إنه قد يخرج من الدِّين وهو لا يعلم: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ ولذا من الواجب علىٰ المسلم أن يهتم بدينه وأن يسأل عما يثبتُه ليلزمَه، وعما ينقضه ويخالفه ليجتنبَه لكن الدنيا صار لها محل وحظ كبير في النفوس، وأعرض كثير من الناس عن الدين، وغفلوا عنه، فلا يتعلمونه، ولا يرفعون به رأسًا!

والشرك الأكبر قد وقع في المسلمين، ومع الأسف لا يشعر به كثير منهم، ولا يعرفون أن هذا شركٌ يناقض أصل التوحيد، وأن من فعله يخلَّد في النار، ولا يغفر له؛ فإذا كان الإنسان بهذه المثابة، وضيَّع أصل دينه، فما الذي يحرص عليه بعد ذلك؟!

«أَتَظُنُّ أَنَّ اللهَ يُحَرِّمُهُ، وَلاَ يُبَيِّنُهُ لَنَا؟»: أي: هل ينزِّل الله الكتاب، وفيه بيان كل شيء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:٣٨]، ويرسل الرسول ليبين لهم ما نُزِّل إليهم، ويبقىٰ أصل الأصول مستغلِقًا لم يبيَّن، فإذا فُرِّط في بيان أصل الأصول الذي هو التوحيد وما يناقضه من الشرك، فما الذي يبيَّن؟!

## [الشبهة الثامنة: قَصْـر الشِّرك على عبـادة الأصنـام]

«فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنامِ، وَنَحْنُ لاَ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَحْجَارَ وَالأَخْشَابَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْر مَنْ دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقْصُدُونَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بَنِيَّةً عَلَىٰ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، ويَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ عَنَا اللهُ بِبَرَكَتِهِ، وُيعْطِينَا بِبَرَكَتِه، فَقُلْ: صَدَقْت، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ، وَالْبِنَا الَّذِي عَلَىٰ الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ.

وأَيْضًا: قَوْلُكَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا، وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ، وَدعُاءَهُمْ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِك؟ فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ الله -تعالىٰ- فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ الْمَلاَئِكَةِ، أَوْ عِيسَىٰ، أَوْ الصَّالِحِين، فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ فَهُوَ الشِّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَسِرُّ الْمَسأَلَةِ أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللهِ، فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي.

فَإِن قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَام، فَقُلْ لَهُ: وَمَا عِبَادَةُ الأَصْنَامِ؟ فَسِّرْهَا لِي، وَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، فَقُلْ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ؟ فَسِّرْهَا لي.

فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ؛ فَهُو الْمطْلُوبُ، وَإِن لَمْ يَعْرِفْهُ؛ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لاَ يَعْرِفُهُ؟

وَإِنْ فَسَّرَهُ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ؛ بَيَّنْت لَهُ الآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وأَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ

التِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ مِنْه كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ؛ حَيْثُ قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[ص:٥]».

## الشَّرْح

«فَإِنْ قَالَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَنَحْنُ لاَ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، فَقُلْ لَهُ: مَا مَعْنىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ؟ أَتَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ تِلْكَ الأَحْجَارَ وَالأَخْشَابَ تَخْلُقُ، وَتَرْزُقُ، وَتُدَبِّرُ أَمْرَ مَنْ دَعَاهَا؟ فَهَذَا يُكَذِّبُهُ الْقُرْآنُ»: أي: إن قال: إن الشرك عبادةُ الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام، وما وضعنا أمامنا حجرًا ولا شجرًا.

فيقال له: ما الفرق بين السجود للصنم، والسجود للقبر؟ أليس السجود للقبر هو الشرك بعينه، مثل السجود للصنم؟ فهذا مخلوق، وهذا مخلوق؛ سئل النبي ﷺ: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟» قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»(١).

«فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقْصُدُونَ خَشَبَةً، أَوْ حَجَرًا، أَوْ بَنِيَّةً عَلَىٰ قَبْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، يَدْعُونَ ذَلِكَ، وَيَذْبَحُونَ لَهُ، ويَقُولُونَ: إِنَّهُ يُقَرِّبُنَا إِلَىٰ اللهِ زُلْفَىٰ، وَيَدْفَعُ عَنَا اللهُ بِبَرَكَتِهِ، وُيعْطِينَا بِبَرَكَتِهِ»: هذه حجة مشركي العرب الذين بعث إليهم النبي ﷺ، وهي حجة المشركين في زمن الشيخ رحمه الله، وفي زماننا نحن.

«قُلْ: صَدَقْت، وَهَذَا هُوَ فِعْلُكُمْ عِنْدَ الأَحْجَارِ، وَالأَبْنِيَةِ الَّتِي عَلَىٰ الْقُبُورِ وَغَيْرِهَا، فَهَذَا أَقَرَّ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَذَا هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ»: هذا هو الوجه الأول من وجهَي الرد علىٰ هذه الشبهة، والوجه الثاني قوله:

«وأَيْضًا: قَوْلُكَ: الشِّرْكُ عِبَادَةُ الأَصْنَامِ، هَلْ مُرَادُكَ أَنَّ الشِّرْكَ مَخْصُوصٌ بِهَذَا،

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، (٤٤٧٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده، (٨٦)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وَأَنَّ الاعْتِمَادَ عَلَىٰ الصَّالِحِينَ، وَدعُاءَهُمْ لا يَدْخُلُ فِي ذَلِك؟»: أي: يقال له: إن قلت: إن الشرك خاص بعبادة الأصنام، فهل عبادة عيسىٰ، أو الملائكة شرك أو لا؟ فلا بد أن يقول: إنها شرك؛ لأن الله كفَّر النصارىٰ الذين عبدوا عيسىٰ من دون الله، وتبرأ منهم عيسىٰ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦]، والملائكة تبرؤوا منهم.

«فَهَذَا يَرُدُّهُ مَا ذَكَرَ الله -تعالىٰ- فِي كِتَابِهِ مِنْ كُفْرِ مَنْ تَعَلَّقَ عَلَىٰ الْمَلائِكَةِ، أَوْ عِيسَىٰ، أَوْ الصَّالِحِين»: أي: ألقىٰ بحوائجه عليهم، واتجه إليهم في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره.

«فَلابُدَّ أَنْ يُقِرَّ لَكَ أَنَّ مَنْ أَشْرَكَ فِي عِبَادَةِ اللهِ أَحَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ؛ فَهُوَ الشِّرْكُ الْمَذْكُورُ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ»: لأن القرآن نزل وبيَّن الشرك الأكبر، والنبي ﷺ طالبهم بالتوحيد، والابتعاد عن الشرك، فنفروا واشمأزوا؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِۖ ﴾ [الزمر: ٤٥]، وقالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [ص:٥]، ومع ذلك منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد المسيح، ومنهم من يعبد عزيرًا، ومنهم من يعبد بعض الصالحين، كاللات، وعبادة الأولياء والصالحين في المتأخرين بعد القرون المفضلة أكثر.

«وَسِرُّ الْمَسأَلَةِ» خلاصتها ولبّها، والكلام المختصر الذي يجمع ما تقدم «أَنَّهُ إِذَا قَالَ: أَنَا لاَ أُشْرِكُ بِاللهِ، فَقُلْ لَهُ: وَمَا الشِّرْكُ بِاللهِ؟ فَسِّرْهُ لِي، فَإِن قَالَ: هُوَ عِبَادَةُ الأَصْنَام، فَقُلْ لَهُ: وَمَا عِبَادَةُ الأَصْنَام؟ فَسِّرْهَا لِي، وَإِنْ قَالَ: أَنَا لاَ أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، فَقُلْ: مَا مَعْنَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ؟ فَسِّرْهَا لي»: لأن الحكم علىٰ الشيء فرع عن تصوره، ولا يستطيع أحد أن يحكم علىٰ شيء بحكم صحيح حتىٰ يتصوره تصوُّرًا مطابقًا للواقع، فإذا فسَّر الشرك تفسيرًا صحيحًا، وفسر عبادة الأصنام تفسيرًا صحيحًا،

وفسر العبادة تفسيرًا صحيحًا؛ فلا بد أن يُقِرّ بأنه مشرك، ويُقلع عما هو عليه، فلا يمكن أن يعرف التوحيد الذي جاءت به الرسل معرفة صحيحة علىٰ ما هو عليه في الواقع ثم يخالفه؛ لأنه يعرف أنه إذا خالف التوحيد وقع في الشرك، والشرك لا يُغفَر إلا أن يكون من المعاندين!

«فَإِنْ فَسَّرَهَا بِمَا بَيَّنَهُ اللهُ فِي الْقُرْآنِ؛ فَهْو الْمطْلُوبُ»: أي: إن فسَّر هذه الأمور بما بينه القرآن، وبينه النبي ﷺ في سنته؛ فهو المطلوب، وحينئذٍ يُقال له: كيف تخالف هذا الذي جاءت به النصوص عن عِلم؟! وكما قال ابن القيم رحمه الله:

فـإن كنـت لا تـدري فتلـك مصـيبة وإن كنـت تـدري فالمصـيبة أعظـم[1]

«وَإِن لَمْ يَعْرِفْهُ فَكَيْفَ يَدَّعِي شَيْئًا وَهُوَ لاَ يَعْرِفُهُ؟»: أي: كيف تدعي أنك موحِّد وأنت لا تعرف التوحيد؟! وكيف تنفي عن نفسك الشِّرك وأنت تجهل حقيقته؟!

«وَإِنْ فَسَّرَهُ بِغَيْرِ مَعْنَاهُ؛ بَيَّنْتَ لَهُ الآيَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي مَعْنَىٰ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وأَنَّهُ الَّذِي يَفْعَلُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ بِعَيْنِهِ، وَأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ هِيَ التِي يُنْكِرُونَ عَلَيْنَا، وَيَصِيحُونَ مِنْه، كَمَا صَاحَ إِخْوَانُهُمْ؛ حَيْثُ قَالُوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص:٥]»: أي: لما قيل لهم: قولوا: لا إله إلا الله قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾، فهم كما قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [الزمر: ٤٥].

وإذا كان بيان التوحيد والشرك في الكتاب والسنة بهذا الوضوح والظهور، فكيف يسري الشرك في هذه الأمة في كثير من الأقطار؟! فبعض الرافضة يقولون: إن

(١) هذا بيت من قصيدة طويلة لابن القيم في وصف الجنة. ينظر: حادي الأرواح، (ص١٢).

الحج إلىٰ الحسين أفضل من سبعين حجة إلىٰ بيت الله، وصنفوا في حج المشاهد ما لا ينقضي منه العجب، وبعض عباد القبور يزعمون أن بعض الأولياء يتصرفون في الكون!

وقد ذكر الشيخ فيما تقدم أنهم قد يكونون من أبرز الناس في بعض العلوم، كاللغة والبلاغة، وعلم الكلام، وقد يكون عندهم علوم باهرة في أصول الفقه، وقد يكونون ممن يقرؤون القرآن بكثرة، ولكنه لا يجاوز حناجرهم، وقد يكونون ممن ديدنه القراءة في كتب السنة، ولكنهم يقرؤونها للبركة، وهذا كثير في المسلمين، ولاسيما في الشرق؛ فإنهم يقرؤونها للبركة لا للعمل.

وهؤلاء الذين عندهم شيء من العلم كثيرٌ منهم مرتزقة، يعظَّمون ويقدَّرون ويصدَّرون في المجالس ويخدَمون، وإذا رجعوا عما هم عليه رجعت عنهم العامة.

والعامة مخدوعون بهؤلاء الذين ينتسبون للعلم، ولا شك أن عندهم ما يصدهم عن قبول الحجة؛ ولكنه لا يعفيهم، ولا يعذرون به؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٧-٦٨]، فالذين أطاعوا السادة والكبراء لم يُعذروا.

وإنك لتعجب من عِظَم الأمر وهوله في التوحيد والشرك، ومع ذلك يكثر في المسلمين مَن يخفىٰ عليهم أمره، والموفَّق من وفَّقه الله.

### ۞ [الشبهة التاسعة: شِرْك قريش كان في زعمهم أن الملائكة بنات الله]

«فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِدُعَاءِ الْمَلاَئِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَمَّا قَالُوا: الْمَلاَئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ، وَلاَ غَيْرَهُ ابنُ اللهِ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَىٰ الله -تعالىٰ- كُفْرٌ مُسْتَقِلٌ، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، وَالأَحَدُ: الَّذِي لا نَظِيرَ لَهُ، والصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا؛ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرَ السُّورَةِ. ثُم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣]، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا؛ فقَدْ كَفَرَ، وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ أَوَّلَ السُّورَةِ، وَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًا، وَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فَفَرَّقَ بَيْنَ كُفْرَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا أَيْضًا: أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللاتِّ مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الْجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا، وَجَمِيعُ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حكْمِ الْمُرْتَدِّ: أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا؛ فَهُوَ مُرْتَدٌ، وإِنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فَهُوَ مُرْتَدٌ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ.

وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]؛ فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَلكِنْ لا يُعْبَدُونَ، وَنَحْنُ لم نذكر إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَع اللهِ، وَإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ، وَإِلَّا فَالوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ، وَاتِّبَاعُهُمْ، وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ.

وَلاَ يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلاَلاَتِ، وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلاَلَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ.

فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهِ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَنِنَا الاعْتِقَادَ هُوَ الشِّرْك الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ؛ فاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ

شِرْكِ أَهْلِ زَمانِنَا بِأَمرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ، ويَدْعُونَ الْمَلاَئِكَةَ، والأَوْلِيَاءَ، والأَوْثَانَ مَع اللهِ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ؛ فَيُخْلِصُونَ لِلَّهِ الدُّعاء، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ إِلىٰ قَوْلِه: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر:٨]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [لقمان: ٣٢].

فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ يَدْعُونَ اللهَ، وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ؛ فَلاَ يَدْعُونَ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه، وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ، تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا، وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ؛ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟! وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

والأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَع اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ الله؛ إِمَّا نبيًّا، وإِمَّا وَلِيًّا، وَإِمَّا مَلاَئِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَارًا وأَشْجَارًا مُطِيعَةً للِّهِ لَيْسَتْ بِعَاصِيَةٍ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَع اللهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُم الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُم الْفُجُورَ مِن: الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلاَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، وَالَّذِي لاَ يَعْصِي؛ مِثْل: الْخَشَبِ وَالْحَجَرِ - أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَن يُشَاهَدُ فِسْقُهُ وَفَسَادُه، وَيُشْهَدُ بِهِ».

## الشَّرْح

«فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِدُعَاءِ الْمَلاَئِكَةِ، وَالأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّمَا كَفَرُوا لَمَّا قَالُوا: الْمَلاَئِكَةُ بَنَاتُ اللهِ، وَنَحْنُ لَمْ نَقُلْ إِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ، وَلاَ غَيْرَهُ ابنُ اللهِ»: لا شك في كفر من قال: إن الملائكة بنات الله، أو من قال: عزير ابن الله، أو قال: المسيح ابن الله لكن هل الشرك أو الكفر ينحصر في هذه الصورة؟ لا ريب أن المكفرات كثيرة، والفقهاء في كتاب الرِّدة من كُتُب الفقه يذكرون أشياء مكفِّرة كثيرة، منها هذا وغيره، وأكثر المذاهب توسعًا في سرد المكفرات هو المذهب الحنفي.

«فَالْجَوَابُ: أَنَّ نِسْبَةَ الْوَلَدِ إِلَى الله -تعالى- كُفْرٌ مُسْتَقِلٌ، قَالَ اللهُ -تَعَالَى-: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، وَالأَحَدُ: الَّذِي لا نَظِيرَ لَهُ»: أي: في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.

«والصَّمَدُ: الْمَقْصُودُ فِي الْحَوَائِجِ»: أي: الذي تصمد إليه الخلائق لقضاء الحوائج(١).

و«الله الصمد» جملة من مبتدأ وخبر معرَّفة الجزأين، وتعريف الجزأين -كما هو معروف- يقتضي الحصر(٢).

والذي يدعو غير الله يعترف بأن الله هو الصمد على الاختصاص، وأنه لا يوجد صمد غيره، ولكنه يصمد إلى غير الله في حاجته، فهذا يعترف بأن الله الصمد قولًا؛ ولكن لا يعترف به عملًا.

«فَمَنْ جَحَدَ هَذَا؛ فَقَدْ كَفَرَ وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ آخِرَ السُّورَةِ، ثُم قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ

(١) ينظر: الفتاوى، (١٧/ ٢١٩).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (١/ ٦٩٤).

﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ [الإخلاص: ٣]، فَمَنْ جَحَدَ هَذَا؛ فقَدْ كَفَرَ وَلَوْ لَمْ يَجْحَدْ أَوَّلَ السُّورَةِ»: أي: من أنكر أن الله أحد، أو أن الله هو الصمد المتفرد بقضاء الحوائج، فقد كفر ولو لم يجحد آخر السورة.

وكذلك العكس، فمن جحد آخر السورة، وقال: إن لله ولدًا أو والدًا؛ فقد كفر ولو اعترف أن الله هو الصمد.

ولو قال: إن الله أحد، وإنه الصمد، وإنه لم يلد ولم يولد، ولكن جحد نبوة محمد ﷺ، أو كفر بنبي من الأنبياء الذين ذكرهم الله ونص عليهم في كتابه؛ فإنه يكفر؛ لأن الكفر ليس محصورًا في عبادة الأصنام، أو بادعاء الولد لله ﷻ.

«وَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فَفَرَّقَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَجَعَلَ كُلًّا مِنْهُمَا كُفْرًا مُسْتَقِلًّا، وَقَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فَفَرَّقَ بَيْنَ كُفْرَيْنِ»: في الآية الأولىٰ فرّق سبحانه بين نوعين من الكفر: الأول: اتخاذ الولد، والثاني: اتخاذ الند، وفي الثانية فرّق سبحانه بين نوعين من الكفر أيضًا: الأول: اتخاذ الجن شركاء له سبحانه، والثاني: ادعاء أن لله بنين وبنات، وهذا يعني أن الكفر قد يكون بالشرك في العبادة ولو لم يدع المشركون كون المعبود ابنًا لله تعالىٰ، وكذلك العكس، وفي هذا دلالة أيضًا علىٰ بطلان دعوىٰ أن شرك الأوائل كان في ادعاء البنوة.

«وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا -أَيْضًا- أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِدُعَاءِ اللاتِّ مَعَ كَوْنِهِ رَجُلًا صَالِحًا لَمْ يَجْعَلُوهُ ابْنَ اللهِ»: يعني: أن الذين أشركوا مع الله هذا الرجل الصالح لم يقولوا: إن اللات ابن الله، وهذا بناء علىٰ المعتمد في أن اللات اسم فاعل من اللتّ، وأنه

شخصٌ كان يلتُّ السويق للحجاج، فلما مات عكفوا علىٰ قبره[١]، وذهبَ بعضهم إلىٰ أنه مأخوذ من الإله كما أن العزَّىٰ من العزيز[٢]، وحقيقة الأمر لا تختلف، فسواء كان اشتقاقه من اسم الإله، أو بسبب فعله، وهو لَتُّ السويق.

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ الْجِنِّ لَمْ يَجْعَلُوهُمْ كَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْعُلَمَاءُ -أَيْضًا-، وَجَمِيعُ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ يَذْكُرُونَ فِي بَابِ حكْمِ الْمُرْتَدِّ أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا فَهُوَ مُرْتَدٌّ، وَإِنْ أَشْرَكَ بِاللهِ فَهُوَ مُرْتَدٌّ، فَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ النَّوْعَيْنِ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ»: فإن قيل: أليس قد جاء أن «**الْخَلْق عِيَالُ اللهِ**»[٣]؟! فالجواب: أن ذلك لا يعني أنهم أولاد له، وإنما هم عالة عليه.

ومثل هذا قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، مع أن مقتضىٰ كون أزواجه أمهاتِ المؤمنين - أنه أبو المؤمنين؛ والآية إنما هي لنفي ولد التبني، كما كان يقال: زيد بن محمد، لزيد بن حارثة، وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ**»[٤]، ولم يقل «والدٌ».

(١) ينظر: (ص ٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، (٢٢/ ٤٧).

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في: بغية الباحث، (٩١١)، والبزار (٦٩٤٧)، وأبو يعلىٰ (٣٣١٥)، وغيرهم، من طريق يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنس ﷺ مرفوعًا؛ ويوسف بن عطية قال فيه ابن حجر في التقريب، (ص٦١١): «متروك». وروي من طرق كلها ضعيفة.

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب، (٨)، والنسائي، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث، (٤٠)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب الاستنجاء بالحجارة، والنهي عن الروث والرِّمَّة، (٣١٣)، وأحمد (٧٣٦٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ، فَإِذَا أَتَىٰ أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا، وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ**»، وقد سكت عنه أبو داود، وصححه ابن خزيمة (١/ ٤٣)، والنووي في: المجموع، (٢/ ١٩)، وابن الملقن في: البدر المنير، (٢/ ٢٩٨)، وغيرهم.
وأصله في صحيح مسلم، (٢٦٥)، بلفظ: «**إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ حَاجَتِهِ، فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا**».

«وَإِنْ قَالَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]» ويقول الله أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت:٣٠]، «فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْحَقُّ»: لأنه كلام الله ﷻ؛ ولكن هذا المدح هل فيه مصلحة لهم أم لغيرهم؟

والجواب: أن هذا فيه مصلحة لهم، فإن كنت تريد نجاة نفسك؛ فاعمل بالأسباب التي عملوا بها؛ لتدخل في هذا الكلام، فنحن نعتقد أن ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ كما قال الله؛ ولكن نستفيد منهم إذا نظرنا أفعالهم التي أوصلتهم إلىٰ منزلة الولاية، فنعمل بها؛ لينطبق علينا هذا النص.

«وَلكِنْ لا يُعْبَدُونَ، وَنَحْنُ لم نذكر إِلَّا عِبَادَتَهُمْ مَع اللهِ، وَإِشْرَاكَهُمْ مَعَهُ، وَإِلَّا فَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ حُبُّهُمْ، وَاتِّبَاعُهُمْ، وَالإِقْرَارُ بِكَرَامَاتِهِمْ.

وَلاَ يَجْحَدُ كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ وَالضَّلاَلاَتِ، وَدِينُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، وَهُدًى بَيْنَ ضَلاَلَتَيْنِ، وَحَقٌّ بَيْنَ بَاطِلَيْنِ»: كما قال الشاعر:

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمُ[1]

فالأمة وسط بين الأمم، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، وأهل السنة والجماعة وسط بين أهل الأهواء، كما قرَّر ذلك وبيَّنه ووضَّحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الواسطية»[2].

(١) قائله الإمام الخطابي، المتوفىٰ (٣٨٨هـ)، كما في العزلة، (ص٩٧)، وذكر عبد القادر البغدادي في خزانة الأدب، (٢/ ١٢٢) بيتين لا يُعلم قائلهما، وهما:

عَلَيْكَ بأوساط الْأُمُور فَإِنَّهَا طريقٌ إِلَىٰ نهج الصَّوَاب قويم

وَلَا تَكُ فِيهَا مفرطًا أَو مفرطًا كلا طرفي قصد الْأُمُور ذميم

(٢) ينظر: العقيدة الواسطية – ضمن مجموع الفتاوىٰ –، (٣/ ١٥٩).

«فَإِذَا عَرَفتَ أَنَّ هَذَا الَّذِي يُسَمِّيهُ الْمُشْرِكُونَ فِي زَمَنِنَا الاعْتِقَادَ»: يعني الاعتقاد في الأولياء بأنهم ينفعون ويضرون.

«هُوَ الشِّرْك الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، وَقَاتَلَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ عَلَيْهِ، فاعْلَمْ أَنَّ شِرْكَ الأَوَّلِينَ أَخَفُّ مِنْ شِرْكِ أَهْلِ زَمانِنَا بِأَمرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ، ويَدْعُونَ الْمَلاَئِكَةَ، والأَوْلِيَاءَ، والأَوْثَانَ مَع اللهِ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ؛ فَيُخْلِصُونَ الدِّينَ لِلَّهِ»: كما قرر الشيخ الإمام المجدد ﷺ في القاعدة الرابعة من القواعد الأربع[1].

«كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٧]»، وقال تعالىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١]»: في بعض الحوادث والكوارث التي تحصل، يهرعُ الناس إلىٰ مواطن الأمان، وبعضهم يدوس بعضًا من شدة الزحام، ويُسمع من يقول: يا علي، ويا حسين، وهو يُداس تحت الأقدام، بخلاف المشركين الأوائل الذين إذا: ﴿رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ وهذا في حال الشدة، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وهذا في حال الرخاء، ففي حال الشدة يُنسىٰ من يُدعىٰ ويُعبَد من دون الله؛ لأنه إن كان جُرِّب ولم يجد عنده حلًا في حال الشدة؛ فلا فائدة في دعائه، وإذا لم ينفع في حال الشدة؛ فَألَّا ينفع في حال الرخاء من باب أولىٰ.

(١) ينظر: ثلاثة الأصول -وشروط الصلاة- والقواعد الأربع، (ص٤٧).

ولذلك، فالشدائد والمصائب فيها منح إلهية؛ لأنها تعيد الإنسان إلىٰ ربه؛ فقد يغفل في حال الصحة والسعة والرخاء؛ ولكن إذا أصيب بمرض، أو فاقة، أو مصيبة من مصائب الدنيا؛ تجده يرجع إلىٰ الله ﷻ.

فالمقصود أن هذه المصائب هي التي تفحص الإنسان، فتجد الإنسان متعاليًا مترفِّعًا، ثم يعرف قدر نفسه إذا مرض واحتاج، فيخضع للطبيب وهو مجرد سبب، والشفاء بيد الله ﷻ.

والأسباب جاءت بها الشريعة، وإنكارها غباء، والاعتماد عليها شرك، وأهل السنة وسط في هذا الباب بين من يلغيها، وبين من يراها مؤثِّرة بذاتها.

فعند الأشعرية لا قيمة للأسباب، وإنما يحصل المسبَّب عندها لا بها[(١)]، كما يقول الكرماني وغيره في شرح البخاري: يجوز أن يرىٰ أعمىٰ الصين وهو في أقصىٰ المشرق بقَّة الأندلس[(٢)]، والبقة: البعوضة، فعندهم لا فرق بين الأعمىٰ والبصير، وإنما حصل المسبَّب عند الإبصار، لا به، وهذه مسألة دقيقة، وتحتاج إلىٰ بسط ليس هذا موضعه.

ويقابلهم المعتزلة الذين يرون أن الأسباب مؤثِّرة بذاتها[(٣)].

وأهل السنة وُفِّقُوا للاعتدال والوسطية، فقالوا: إن للأسباب أثرًا لا بنفسها، فالله ﷻ هو الذي جعل فيها الأثر.

وإنك لتعجب أن يقول مفكرون كبار، وعقلاء: إنه يجوز أن يرىٰ أعمىٰ الصين بقة الأندلس؛ فكيف تصل العقول إلىٰ هذا الحد؟!؛ ولكنها تداعياتٌ لأمور نكَّبوا

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٤/ ١٦٤)، والمستصفىٰ، (ص٧٥).
(٢) ينظر: الكواكب الدراري، (١/ ١٩٧)، وعمدة القاري، (٤/ ١٥٧)، وإرشاد الساري، (١٠/ ١٣٤).
(٣) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار المعتزلي، (٨/ ١٦٩)، (٩/ ٣٣).

فيها عن الدليل الشرعي من الكتاب والسنة، وأُلزِموا بلوازم، فالتزموا بها، فكان من هذه اللوازم مثلُ هذه الأمور.

«﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلىٰ قَوْلِه: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر:٨]»: قد يتمتع بالكفر مائة سنة، وقد يكون هذا عندنا كثيرًا؛ ولكنه عند الله قليل؛ لما سئل نوحٌ - وقد عاش في الدعوة تسعمائة وخمسين عامًا، ويقال: إنه عاش ألفًا وأربعمائة[(١)]-: «**يا أطول النبيين عُمُرًا، كيف وجدت الدنيا ولذَّتها؟ قال: كرجل دخل بيتًا له بابان، فقام في وسط البيت هُنيَّة، ثم خرج من الباب الآخر**»[(٢)]، وكما قال الشاعر:

**مـــا مضـــىٰ فـــاتَ والمؤمَّـــل غَيْـــب ولـــك الســـاعة التـــي أنـــت فيهـــا**[(٣)]

«**وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾** [لقمان: ٣٢]، **فَمَنْ فَهِمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي وَضَّحَهَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَهِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَ اللهَ، وَيَدْعُونَ غَيْرَهُ فِي الرَّخَاءِ، وَأَمَّا فِي الشِّدَّةِ فَلاَ يَدْعُونَ إِلَّا اللهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه، وَيَنْسَوْنَ سَادَاتِهِمْ، تَبَيَّنَ لَهُ الْفَرْقُ بَيْنَ شِرْكِ أَهْلِ زَمَانِنَا، وَشِرْكِ الأَوَّلِينَ، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنْ يَفْهَمُ قَلْبُهُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَهْمًا رَاسِخًا؟! وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ**»:

(١) وهو قول وهب بن منبه؛ حكاه عنه القرطبي في تفسيره، (١٣/ ٣٣٢)، وثمت أقوال أخرىٰ في تحديد العمر الذي عاشه نوح عليه السلام، وأطولها ألف وسبعمائة سنة، وأقصرها تسعمائة وخمسون سنة. ينظر: تفسير الطبري، (١٨/ ٣٧٠)، وتفسير ابن كثير، (٦/ ٢٦٨)، والدر المنثور، (٦/ ٤٥٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في: ذم الدنيا، (٤٠٠) ، قال: حدثنا محمد بن عاصم، قال: أخبرني نافع أبو هرمز، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: «**جاء ملك الموت إلىٰ نوح عليه السلام، فقال: يا أطول النبيين...**». ونافع بن هرمز تركَه أبو حاتم، وكذبه ابن معين، وضعفه أحمد وجماعة. وينظر: الجرح والتعديل، (٨/ ٤٥٥)، وميزان الاعتدال، (٤/ ٢٤٣).

(٣) قائله: أبو إسحاق الغزِّي، كما في: المنتظم لابن الجوزي، (١٧/ ٢٥٧)، والكامل لابن الأثير، (٩/ ٢٦).

فالفاصل أن الأولين يخلصون في الشدة، ويشركون في الرخاء، وأما مشركو زماننا؛ فشركهم دائم في الرخاء والشدة.

«والأمْرُ الثَّانِي: أَنَّ الأَوَّلِينَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ عِنْدَ الله؛ إِمَّا نبيًّا، وإِمَّا وَلِيًّا، وَإِمَّا مَلاَئِكَةً، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَارًا وأَشْجَارًا مُطِيعَةً للَّهِ لَيْسَتْ بِعَاصِيَةٍ، وَأَهْلُ زَمَانِنَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ النَّاسِ»: حتىٰ إن بعض الطوائف إذا عُقِد عندهم علىٰ البنت؛ لا تُدخَل علىٰ زوجها حتىٰ يمسها الولي الذي يدعىٰ من دون الله.

«وَالَّذِينَ يَدْعُونَهُمْ هُم الَّذِينَ يَحْكُونَ عَنْهُم الْفُجُورَ مِن الزِّنَا، وَالسَّرِقَةِ، وَتَرْكِ الصَّلاَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ»: من ذلك ما قاله الشعراني عن أحدهم: «كان -رحمة الله عليه- لم يترك مأمورًا إلا تركه، ولا ترك محظورًا إلا ارتكبه» فعلق علىٰ هذا معلِّق بقلمه: إذا كان هذا رحمة الله عليه، فلعنة الله علىٰ مَن؟!

ومن ذلك أن أحدهم كان يقول:

بـــــذكر الله تـــــزداد الـــــذنوب وتـــــنطمسُ البصـــــائرُ والقلـــــوب[1]

ومع ذلك تُدَّعىٰ له الولاية، والله ﷻ يقول: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

نسأل الله السلامة والعافية، ونسأله الثبات.

«وَالَّذِي يَعْتَقِدُ فِي الصَّالِحِ، وَالَّذِي لاَ يَعْصِي مِثْل: الْخَشَبِ وَالْحَجَرِ- أَهْوَنُ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ فِيمَنْ يُشَاهَدُ فِسْقُهُ وَفَسَادُه، وَيُشْهَدُ بِهِ»: لأن مثل هذا الذي يعبد شيئًا مقرَّبًا من الله، من: ولي، أو نبي، أو ملَك؛ إذا كان من عامة الناس، وخفيت عليه النصوص، ولم يتمكن من التفريق بين الحق والبطل؛ قد يقال: إن له شبهة.

(١) ابن عربي في ديوانه: ترجمان الأشواق، (ص ٤).

وأما الذي يعبد فاجرًا بعيدًا كل البعد عن الله ﷻ؛ فما وجه عبادته إياه؟! مع أن كليهما في النهاية مشرك شركًا أكبر، كما قرر الشيخ ﷺ؛ فبعض الأمور قد تقبلها العقول الخالية من نصوص الكتاب والسنة، وبعضها تمجُّها الفِطَر التي اجتالتها الشياطين فضلًا عن الفطر السليمة.

**[الشبهة العاشرة: أن الذين نزل فيهم القرآن أنكروا النبوة والبعث بخلاف من يستغيث بالأولياء]**

«إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولًا، وَأَخَفُّ شِرْكًا مِنْ هَؤُلاَءِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلاَءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا، وَهِي مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَاصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا: وَهِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَيُكَذِّبُوْنَ الْقُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، ونُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ؛ فَكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أولئِكَ؟!

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ، وَكَذَّبهُ فِي شَيْءٍ - أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلاَمِ، وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ الْقُرْآنِ، وَجَحَدَ بَعْضَهُ، كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاَةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلاَةِ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّوْمِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الْحَجِّ.

وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَجِّ أَنْزَلَ اللهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ الْبَعْثَ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ، وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ -تَعَالَى-:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

فَإِذَا كَانَ الله -تعالىٰ- قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ، وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ كَافِرٌ حقًّا، زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ، وَهَذِهِ هِي التي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا.

وَيُقَالُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيءٍ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاَةِ أَنَّهُ كَافِرٌ، حَلاَلُ الدَّمِ وَالْمَالِ بِالإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيءٍ إِلَّا الْبَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّه، لاَ تَخْتَلِفُ الْمَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ - كَمَا قَدَّمْنَا.

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِن الصَلاَةِ، والزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ؛ فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ، وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لاَ يكْفُرُ؟! سُبْحَانَ اللهِ، مَا أَعْجَبَ هَذَا الْجَهْل!

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: هَؤُلاَءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيّ ﷺ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبده ورَسُولُه، ويُصَلُّونَ، وَيُؤَذِّنُونَ.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُوْن: إِنَّ مُسَيْلَمَةَ نَبِيٌّ ؛ فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا فِي رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلا الصَّلاَةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ، أَوْ يُوسُفَ، أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا إِلَىٰ مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ

وَالأَرْضِ؟ سُبْحَانَ اللهِ، مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ!، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم:٥٩].

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ ﷺ بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ﷺ، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ وَلكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ ﷺ مِثْلَ الاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ، وَشَمْسَانَ، وَأَمْثَالِهِمَا؛ فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ؟ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الاعْتِقَاد فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لاَ يَضُرُّ، وَالاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ ﷺ يُكَفِّرُ؟

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلكُوا الْمَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَانِ بَنِي العَبَّاسِ، كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَيُصَلّوْنَ الْجُمُعَةَ، وَالْجَمَاعَةَ.

فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ دُوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ- أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلادَهُمْ بِلادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ.

وَيُقَالُ - أَيْضًا -: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتكْذِيبِ الرُّسُلِ، وَالْقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: بَابُ حُكْمِ الْمُرْتَدّ، - وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ- ؟! ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْواعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ، حتّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دَونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَزْحِ وَاللَّعِبِ.

وَيُقَالُ -أَيْضًا-: الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ

ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤]، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ، مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُوْنَ؟ وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ الله -تعالى- فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ- قَالُوا كَلِمَةً، ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَزْحِ.

فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ، وِهِيَ قَوْلُهُمْ: تُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ.

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ - أَيْضًا -: مَا حكَىٰ اللهُ ﷻ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَع إِسْلاَمِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلاَحِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِن الصَّحَابَةِ: «اجْعَلْ لَنَا ذاتَ أَنْوَاطٍ»، فَحَلَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنَّ هَذَا نَظِيْرُ قَوْلِ بنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾؛ وَلَكِنْ لِلمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يكْفُرُوا بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُم ذاتَ أَنْوَاطٍ.

فَالجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا، وَلاَ خِلاَفَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ لَكَفَرُوا، وَلاَ خِلاَفَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُم النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ؛ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُفِيدُ: أَنَّ الْمُسْلِمَ؛ بَل الْعَالِمَ- قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنْ الشِّرْكِ لاَ يَدْرِي عَنْهَا، فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ، وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ: «التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ» أَنَّ

هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْجَهْلِ، وَمكَائِدِ الشَّيْطَانِ، وَتُفِيدُ - أَيْضًا - أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلاَمِ كُفْرٍ، وَهُوَ لاَ يَدْرِي، فَنُبِّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ - أَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيل، وَالَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَتُفِيدُ - أَيْضًا - أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ؛ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الْكَلاَمُ تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

## الشَّرْح

«إِذَا تَحَقَّقْتَ أَنَّ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصَحُّ عُقُولًا»: لأن عربيتهم لم يدخلها شيء من التغيير والتحريف، فهم يفهمون الكلام علىٰ حقيقته، بخلاف من جاء بعدهم في القرون المتأخرة.

«وَأَخَفُّ شِرْكًا مِنْ هَؤُلاَءِ»: لأن الأولين يشركون في الشدة، ويخلصون في الرخاء، والمتأخرين شركهم دائم في الرخاء والشدة، كما قرر الشيخ ﷺ فيما تقدم.

«فَاعْلَمْ أَنَّ لِهَؤُلاَءِ شُبْهَةً يُورِدُونَهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَا»: أي: أن للمشركين المتأخرين في توحيد الألوهية شبهة يوردونها.

«وَهِي مِنْ أَعْظَمِ شُبَهِهِمْ، فَاصْغِ سَمْعَكَ لِجَوَابِهَا: وَهِي أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ لاَ يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُكَذِّبُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَيُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَيُكَذِّبُوْنَ الْقُرْآنَ، وَيَجْعَلُونَهُ سِحْرًا، وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنُصَدِّقُ الْقُرْآنَ، ونُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ، وَنُصَلِّي، وَنَصُومُ، فكَيْفَ تَجْعَلُونَنَا مِثْلَ أولئِكَ؟!»: أجاب عن هذا بأجوبة، فقال:

«فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَدَّقَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي شَيْءٍ، وَكَذَّبهُ فِي شَيْءٍ - أَنَّهُ كَافِرٌ لَمْ يَدْخُلْ فِي الإِسْلاَمِ»: فمن كذَّب النبي ﷺ في شيء ثابت عنه، معلوم من دينه بالضرورة؛ فإنه كافر، ولو أقر واعترف وعمل بما عدا ما كذب به.

فالذي يؤمن ببعض ويكفر ببعض، والذي يكفر بالجميع - حكمهما واحد، كلاهما كافران مخلدان في النار؛ لأن الكفر إذا حكم به علىٰ صاحبه لم يقبل التجزئة.

«وَكَذَلِكَ إِذَا آمَنَ بِبَعْضِ الْقُرْآنِ، وَجَحَدَ بَعْضَهُ، كَمَنْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الزَّكَاةِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّوْمِ، أَوْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ وَجَحَدَ وُجُوبَ الْحَجِّ»: أما جحْد الوجوب ولو مع الفعل؛ فإنه كفر بالاتفاق؛ لأنه مكذِّب لله ورسوله، وأما من لم يقر بالشهادتين؛ فإنه لم يدخل في الإسلام أصلًا؛ لقوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»(١).

ومن أقر بالشهادتين، وأقر بالأركان الخمسة، ولم يصلِّ؛ فالمُرجَّح من النصوص الصحيحة الصريحة أنه كافر، ولو أقر بالوجوب؛ لقوله ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا؛ فَقَدْ كَفَرَ**»(٢).

وترك الصلاة بالكلية قد وُجد في بلاد المسلمين؛ لوجود من لا يقول بكفر تاركها بالكلية؛ وقد ذكر العراقي في «طرح التثريب» عن بعض علماء المغرب أنه تكلم يومًا في ترك الصلاة عمدًا، ثم قال: «وهذه المسألة مما فرضها العلماء ولم تقع؛ لأن أحدًا من المسلمين لا يتعمد ترك الصلاة»(٣).

(١) تقدم تخريجه، (ص ٢٤).

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، (٢٦٢١)، والنسائي، كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة، (٤٦٣)، وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٣٧)، من حديث بريدة بن الحصيب ﷺ مرفوعًا، وقال الترمذي عقبه: «حديث حسن صحيح غريب»، وصححه ابن حبان في: التقاسيم والأنواع، (٤/ ٤٧٥).

(٣) طرح التثريب، (٢/ ١٥٠).

وأما بقية الأركان العملية من الزكاة، والصيام، والحج؛ فالجمهور على أن من تركها بعد الاعتراف بوجوبها لم يكفر، وتكفيره قول عند المالكية(١)، ورواية عن أحمد(٢)؛ ولذلك فهو خطر عظيم؛ لأن ترك الركن يهدم البيت، كما هو معلوم في المحسوسات.

«وَلَمَّا لَمْ يَنْقَدْ أُنَاسٌ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِلحَجِّ أَنْزَلَ اللهُ فِي حَقِّهِمْ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]»: جاء في الأثر: «مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ، وَلَمْ يَحُجَّ؛ فَلاَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾»(٣)، وجاء عن عمر ﷺ أنه قال: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبْعَثَ رِجَالًا إِلَىٰ هَذِهِ الْأَمْصَارِ، فَلْيَنْظُرُوا إِلَىٰ كُلِّ رَجُلٍ ذِي جَدَةٍ لَمْ يَحُجَّ، فَيَضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ، مَا هُمْ مُسْلِمِينَ، مَا هُمْ مُسْلِمِينَ»(٤).

(١) ينظر: مواهب الجليل، (٣/ ٨٠، ٢٧٦، ٤١٤، ٤١٥).

(٢) ينظر: المغني، (٢/ ٤٣٤)، مجموع الفتاوىٰ، (٢٠/ ٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي، أبواب الحج، باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج، (٨١٢)، من حديث علي ﷺ مرفوعًا؛ وقال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال بن عبد الله مجهول، والحارث يضعف في الحديث».
وقد روي الحديث مرفوعًا أيضًا من طريق أبي أمامة، وأبي هريرة، وابن مسعود ﷺ، والأسانيد إليهم كلها ضعيفة، وينظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي، (٣/ ٤٠٦)، ونصب الراية، (٤/ ٤١١، ٤١٢).

(٤) أخرجه الخلال في: السنة، (٥/ ٤٤، رقم ١٥٧١)، واللالكائي في: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، من طريق الحسن، عن عمر ﷺ، فذكره؛ قال ابن عبد الهادي في: تنقيح التحقيق، (٣/ ٤١٠): «هذا الأثر مرسلٌ، لأنَّ الحسن لم يسمع من عمر ﷺ».
وأخرجه ابن أبي شيبة في: المصنف، (١٤٦٧٠)، عن وكيع، عن شعبة، عن الحكم بن عتيبة، عن عدي بن عدي بن عميرة، عن أبيه، قال: قال عمر بن الخطاب: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ مُوسِرٌ لَمْ يَحُجَّ، فَلْيَمُتْ عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ شَاءَ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا»، ورجال إسناده ثقات.

«وَمَنْ أَقَرَّ بِهَذَا كُلِّهِ، وَجَحَدَ الْبَعْثَ؛ كَفَرَ بِالإِجْمَاعِ، وَحَلَّ دَمُهُ، وَمَالُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١]، فَإِذَا كَانَ الله -تعالى- قَدْ صَرَّحَ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ، وَكَفَرَ بِبَعْضٍ فَهُوَ كَافِرٌ حقًّا، زَالَتْ هَذِهِ الشُّبْهَةُ»: لأنهم يقولون: نحن نشهد أن لا إله إلا الله، ونصوم، ونزكي، ونفعل الواجبات، ونترك المحظورات، ونسوا أن رأس المال - وهو توحيد الألوهية - عندهم ضائع.

ويقولون: إن الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله هم الذين يوصفون بالكفار، فهل نحن - أيضًا - مثلهم؟! فيقال لهم: إذا ثبت عندكم مكفِّر واحد؛ فأنتم مثلهم.

«وَهَذِهِ هِيَ التي ذَكَرَهَا بَعْضُ أَهْلِ الأَحْسَاءِ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْنَا»: ففي رسالة للشيخ من بعض أهل الأحساء، وهو أحمد بن عبد الكريم، قال ما معناه: كيف تحكمون علينا بالكفر ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، ونصلي، ونصوم، ونتعبد؟!(١).

**والجواب الثاني قوله:**

«وَيُقَالُ: إِذَا كُنْتَ تُقِرُّ أَنَّ مَنْ صَدَّقَ الرَّسُولَ ﷺ فِي كُلِّ شَيءٍ، وَجَحَدَ وُجُوبَ الصَّلاَةِ - أَنَّهُ كَافِرٌ، حَلاَلُ الدَّمِ وَالْمَالِ بِالإِجْمَاعِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَقَرَّ بِكُلِّ شَيءٍ إِلَّا الْبَعْثَ، وَكَذَلِكَ لَوْ جَحَدَ وُجُوبَ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَصَدَّقَ بِذَلِكَ كُلِّه؛ لاَ تَخْتَلِفُ الْمَذَاهِبُ فِيهِ، وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ، كَمَا قَدَّمْنَا.

(١) ينظر: الدرر السنية، (١٠/ ٦٣).

فَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ أَعْظَمُ فَرِيضَةٍ جَاءَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِن الصَلاَةِ، والزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ؛ فَكَيْفَ إِذَا جَحَدَ الإِنْسَانُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الأُمُورِ كَفَرَ، وَلَوْ عَمِلَ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَإِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ دِينُ الرُّسُلِ كُلِّهِمْ لاَ يَكْفُرُ؟ سُبْحَانَ اللهِ مَا أَعْجَبَ هَذَا الْجَهْل!»: أي: إذا كان من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة؛ فهو كافر، حلال الدم بالإجماع؛ فكيف بمن كان الخلل عنده في التوحيد الذي هو الأصل؟! وأنتم عندكم الخلل في معنىٰ (لا إله إلا الله)، وفيما تقتضيه هذه الشهادة، فهل يُكفَّر بالفرع، ولا يُكَفَّر بالأصل؟!

**والجواب الثالث قوله:**

«وَيُقَالُ - أَيْضًا -: هَؤُلاَءِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَقَدْ أَسْلَمُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُه ورَسُولُه، ويُصَلُّونَ، وَيُؤَذِّنُونَ.

فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُمْ يَقُولُوْن: إِنَّ مُسَيْلِمَةَ نَبِيٌّ ؛ فَقُلْ: هَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ، إِذَا كَانَ مَنْ رَفَعَ رَجُلًا فِي رُتْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَفَرَ، وَحَلَّ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَلَمْ تَنْفَعْهُ الشَّهَادَتَانِ، وَلا الصَّلاَةُ، فَكَيْفَ بِمَنْ رَفَعَ شَمْسَانَ، أَوْ يُوسُفَ، أَوْ صَحَابِيًّا، أَوْ نَبِيًّا إِلَىٰ مَرْتَبَةِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ؟ سُبْحَانَ اللهِ، مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ!، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٩]»: أي: أن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة؛ لأنهم ارتدوا عن الإسلام، وقد كانت ردتهم بتصديق مسيلمة واتباعه.

فإن قال: إنهم يشهدون أن مسيلمة نبي، فيقال لهم: أيهما أعظم: من يشهد أن لا إله إلا الله وأن مسيلمة نبيٌ مساوٍ لمحمد ﷺ، أو من يقول: يا علي، ويا جيلاني، ويا بدوي، أو غيرهم ممن يدعىٰ ويساوىٰ به الله؟! وكلام الشيخ رحمه الله ههنا في غاية الجودة.

وشمسان ويوسف مقبوران، وقبورهما كانت تعبد من دون الله، وتطلب منها الحاجات، ويلجأ إليها في الشدائد، كانا بنجد، وقت دعوة الشيخ رحمه الله.

والجواب الرابع قوله:

«**وَيُقَالُ -أَيْضًا-: الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ كُلُّهُمْ يَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ وَلكِنِ اعْتَقَدُوا فِي عَلِيٍّ رضي الله عنه مِثْلَ الاعْتِقَادِ فِي يُوسُفَ، وَشَمْسَانَ، وَأَمْثَالِهِمَا؛ فَكَيْفَ أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ قَتْلِهِمْ، وَكُفْرِهِمْ؟ أَتَظُنُّونَ أَنَّ الصَّحَابَةَ يُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ؟ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ الاعْتِقَاد فِي تَاجٍ وَأَمْثَالِهِ لاَ يَضُرُّ، وَالاعْتِقَادَ فِي عَلِيِّ بْنِ أبي طَالِبٍ رضي الله عنه يُكَفِّرُ؟**»: أجمع الصحابة علىٰ قتل الذين ألّهوا عليًّا، وهم السبئية: أتباع عبد الله بن سبأ؛ ولشدة كفرهم وغلوهم في علي رضي الله عنه، أمر بخدِّ الأخاديد لهم، وإلقائهم فيها، وإحراقهم بالنار، وقال:

«لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا    أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا»[(١)]

وقد خالفه ابن عباس في تحريقهم بالنار، لا في أصل قتلهم[(٢)].

وتاج رجل أعمىٰ من أهل الخرج، كان يأتي علىٰ قدميه بمفرده إلىٰ شمال الرياض، ويأخذ الجبايات والنذور والذبائح والقرابين التي أُرصدت له، وقد كان له ولأعوانه هيبة؛ لأنه كان يُعبَد من دون الله.

والنفوس قد جُبِلت علىٰ تعظيم العظماء؛ فكيف يعظَّم مثل تاج أو شمسان، مع

(١) تقدم توثيقه (ص ٢٦).

(٢) أخرج البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (٦٩٢٢)، عن عكرمة قال: أُتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: لو كنت أنا لم أحرِّقهم؛ لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**»؛ ولقتلتهم؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**».

أنهما لا قيمة لهما، ولم يُعرفا بعلم أو عمل؟ فالجواب: أنه يكون مع أمثالهم شياطين تؤثر فيمن حولهم، فتورث فيهم الخوف والهلع والجزع، ثم يعبدونهم من دون الله، والله المستعان.

**والجواب الخامس قوله:**

**«وَيُقَالُ - أَيْضًا -: بَنُو عُبَيْدٍ القَدَّاحِ الَّذِينَ مَلكُوا الْمَغْرِبَ وَمِصْرَ فِي زَمَانِ بَنِي العَبَّاسِ، كُلُّهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَيُصَلّوْنَ الْجُمُعَةَ، وَالْجَمَاعَةَ.**

**فَلَمَّا أَظْهَرُوا مُخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ فِي أَشْيَاءَ دُوْنَ مَا نَحْنُ فِيهِ أَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَقِتَالِهِمْ، وَأَنَّ بِلادَهُمْ بِلادُ حَرْبٍ، وَغَزَاهُم الْمُسْلِمُونَ حَتَّىٰ اسْتَنْقَذُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ بُلْدَانِ الْمُسْلِمِينَ»**: استمر حكم العبيديين لمصر والمغرب قرابة قرنين، وهم باطنية زنادقة، وقد حكم عليهم العلماء بالكفر، مع أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله في الظاهر، والمآذن يسمع منها الأذان، والمساجد تقام فيها الصلوات، حتىٰ إن الحاكم بأمر الله العبيدي أمر المحتسبين بإلزام النصارىٰ تعليق صلبان الخشب، وأن يكون قدر الواحد أربعة أرطال، واليهود تعليق خشبة كالمدقة، وزنها ستة أرطال، وأن يَشد في أعناقهم أجراسًا عند دخولهم الحمامات، ثم إنه قبل أن يقتل أذن في إعادة البيع والكنائس، وأذن لمن أسلم أن يعود إلىٰ دينه؛ لكونه مكرهًا، وقال: تنزه مساجدنا عمن لا نية له في الإسلام[1].

وكان يدور بنفسه في الأسواق علىٰ حمار له - وكان لا يركب إلا حمارًا -، فمن وجده قد غش في معيشة؛ أمر عبدًا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به

(١) ينظر: تاريخ الإسلام، (٢٧/ ٢٣٩).

الفاحشة العظمىٰ، وهذا أمر منكر ملعون، لم يسبق إليه[١].

والعبيديون ليسوا فاطميين كما يدعون؛ خلافًا للمقريزي[٢]، وابن خلدون[٣] فيثبتان نسبهم إلىٰ فاطمة ﵂، وهذا باطل بإجماع النسَّابة والمؤرخين، وإنما هم بنو عبيد القدَّاح[٤]؛ لكن الشاهد مما تقدم أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وشعائر الإسلام قائمة، والناس يصلون، ولا يعترضهم أحد، ومع هذا حكم عليهم العلماء بالكفر.

**الجواب السادس قوله:**

**«وَيُقَالُ - أَيْضًا -: إِذَا كَانَ الأَوَّلُونَ لَمْ يَكْفُرُوا إِلَّا لأَنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ الشِّرْكِ وَتكْذِيبِ الرُّسُلِ وَالْقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَمَا مَعْنَىٰ البَابِ الَّذِي ذَكَرَهُ العُلَمَاءُ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ: بَابُ حُكْمِ الْمُرْتَدّ - وَهُوَ الْمُسْلِمُ الَّذِي يَكْفُرُ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ- ؟! ثُمَّ ذَكَرُوا أَنْواعًا كَثِيرَةً، كُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يُكَفِّرُ، وَيُحِلُّ دَمَ الرَّجُلِ وَمَالَهُ»**: أي: إذا كان الأولون لم يكفروا؛ إلا لأنهم جمعوا بين الشرك، وتكذيب الرسول ﷺ، والقرآنِ،

(١) ينظر: البداية والنهاية، (١٢/ ١٢).

(٢) ينظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، (١/ ١٥).

(٣) ينظر: تاريخ ابن خلدون، (١/ ٢٧).

(٤) قال الذهبي في تاريخ الإسلام، (٧/ ٤٦٠) في ترجمة عبيد الله المهدي: «أول خلفاء الباطنية بني عبيد أصحاب مصر والمغرب، وهو دعي كذاب؛ ادعىٰ أنه من ولد الحسين بن علي، **والمحققون متفقون علىٰ أنه ليس بحسيني**»، وقال السخاوي في الضوء اللامع، (٤/ ١٧٤): «والعجب أن صاحبنا المقريزي كان يفرط في تعظيم ابن خلدون؛ لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر، وشهروا بالفاطميين إلىٰ علي، ويخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم، ويقول: إنما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العباسي، وكان صاحبنا ينتمي إلىٰ الفاطميين، فأحب ابن خلدون؛ لكونه أثبت نسبهم، وغفل عن مراد ابن خلدون؛ فإنه كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسب الفاطميين إليهم؛ لما اشتهر من سوء معتقد الفاطميين، وكون بعضهم نسب إلىٰ الزندقة، وادعىٰ الإلهية كالحاكم».

وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنىٰ الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب: «باب حكم المرتد»، والذي ذكروا فيه أشياء حكموا علىٰ قائلها أو فاعلها بالردة، وهي دون الشرك في الألوهية، ودون ما فعله العبيديون وغيرهم؟!

وأكثر من توسع في هذا الباب الحنفية، حتىٰ إنه حكي عن إمامهم أبي حنيفة ﷺ أنه حكم علىٰ من صلىٰ بغير طهارة متعمدًا بأنه كافر(١)، وحكم بعض العلماء علىٰ من صغَّر شيئًا معظَّمًا شرعًا، كالمسجد، والمصحف، بأنه يكفر(٢).

وبعض الفقهاء في المذاهب يذكر في باب حكم المرتد الردةَ بسبب عمل أو قول؛ ولكنه في معنىٰ (لا إله إلا الله) علىٰ طريقة المتكلمين، ويحملها علىٰ توحيد الربوبية، وإثبات الصانع؛ ومن أجل هذا كثرت البدع المكفرة في بلدانهم، وكثرت المشاهد، وعبادة القبور، وغير ذلك، مع أنهم يذكرون في باب الردة ما هو أسهل من هذا بكثير؛ ولكن الاختلاف في التقعيد يورِث الاختلاف في التفريع، فإنهم يختلفون مع أهل الحق في معنىٰ (لا إله إلا الله)؛ ولذا تجدهم يخالفونهم فيما تقتضيه (لا إله إلا الله).

(١) ينظر: شرح النووي علىٰ مسلم، (٣/ ١٠٣).

(٢) روي في ذلك خبر منكر؛ أخرجه ابن عدي، ذكره الذهبي بإسناده إلىٰ أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقولوا مسيجد، ولا مصيحف»، وحكم ابن عدي عقبه عليه بالوضع، وقال الذهبي في: سير أعلام النبلاء، (١٤/ ٥٤٦): «هذا حديث منكر، شبه موضوع».
وروي عن سعيد بن المسيب، ومجاهد، وإبراهيم النخعي كراهية أن يقال «مسيجد، ومصيحف»، كما في: المصاحف لابن أبي داود، (ص٣٤٨، و٣٤٩).
ونقل الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية، (ص١٧٥)، عن أبي حيان الأندلسي قوله: «لا تُصغِّرْ الاسم الواقع علىٰ من يجب تعظيمه شرعًا، نحو أسماء الباري -تعالىٰ-، وأسماء الأنبياء -صلوات الله عليهم-، وما جرىٰ مجرىٰ ذلك؛ لأن تصغير ذلك غض لا يصدر إلا عن كافر أو جاهل».
وينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، (٩/ ٤٢١).

فإن قال المشرك من أهل زماننا: كيف تحتجون بكلام أرباب المذاهب، وهم يوافقوننا في توحيد الألوهية، وفي معنىٰ لا إله إلا الله؟!

**فالجواب**: أننا وإن كنا نختلف معهم في بعض المسائل، إلا أن كثيرًا منها حق، والحق يقبل ممن جاء به، فالحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة في «باب حكم المرتد» يحكمون علىٰ من قال كذا وفعل كذا من الأعمال الفرعية، بأنه كافر، وفي «الإعلام بقواطع الإسلام»[(١)] لابن حجر الهيتمي كثير من هذه الأمور، ومع أن عنده مخالفات كثيرة عقدية، ولكن الحق يقبل ممن جاء به.

وفي المناظرات التي حصلت مع بعض المرجئة الموجودين اليوم قال بعضهم: لو سجد رجل لصنم؛ فإنه لا يكفر حتىٰ يعتقد؛ لأنه يحتمل أنه اتخذ الصنم سترة، ولما سئل عما لو قال: إن الله ثالث ثلاثة، أجاب: إنه لا يكفر حتىٰ يعتقد كذلك، وهذا مع أن القرآن نصَّ علىٰ كفره. ولا شك أن هذه معاندة ومحادة لله ورسوله، والقصد منه تضييع الدين، كما هو فعل المرجئة الأوائل الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، ومفهوم هذا الكلام: افعل ما شئت.

**«حتَّىٰ إِنَّهُمْ ذَكَرُوا أَشْيَاءَ يَسِيرَةً عِنْدَ مَنْ فَعَلَهَا، مِثْلَ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا بِلِسَانِهِ دَونَ قَلْبِهِ، أَوْ كَلِمَةٍ يَذْكُرُهَا عَلَىٰ وَجْهِ الْمَزْحِ وَاللَّعِبِ»**: علىٰ الإنسان أن يحتاط لنفسه، ويهتم ويضع له من السياج والاحتياطات ما يجعله لا ينزلق ويخرج من الدين وهو لا يشعر؛ كما قال -تعالىٰ-: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢]، وقوله ﷺ: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ لَا يَرَىٰ بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ»**[(٢)].

(١) طبع عدة طبعات.

(٢) تقدم تخريجه، (ص ٤١).

والجواب السابع قوله:

«وَيُقَالُ -أَيْضًا-: الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٤]، أَمَا سَمِعْتَ اللهَ كَفَّرَهُمْ بِكَلِمَةٍ؛ مَعَ كَوْنِهِمْ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُجَاهِدُونَ مَعَهُ، وَيُصَلُّونَ مَعَهُ، وَيُزَكُّونَ، وَيَحُجُّونَ، وَيُوَحِّدُونَ؟ وَكَذَلِكَ الَّذِينَ قَالَ الله -تعالى- فِيهِمْ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ صَرَّحَ اللهُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكٍ - قَالُوا كَلِمَةً، ذَكَرُوا أَنَّهُمْ قَالُوهَا عَلَى وَجْهِ الْمَزْحِ»:

فهؤلاء خرجوا للغزو مع النبي ﷺ، وتكلموا بكلام زعموا أنهم يقطعون به الطريق، فقال بعضهم: «ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألسنة، ولا أجبنَ عند اللقاء» يعنون بذلك الرسول ﷺ والصحابة، فنزل القرآن بتكفيرهم ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة:٦٦]؛ لأنهم تعلقوا بدابته ﷺ يعتذرون، ويقولون: كنا نخوض ونلعب[1]، إلا أن الاستهزاء لا يُعذر فيه أحد.

«فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الشُّبْهَةَ، وَهِيَ قَوْلُهُمْ تُكَفِّرُونَ الْمُسْلِمِينَ أُنَاسًا يَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ، ثُمَّ تَأَمَّلْ جَوَابَهَا»: فهؤلاء كانوا مؤمنين، واستهزؤوا بالرسول ﷺ، وببعض ما جاء به؛ ولذا فمن ارتكب مكفِّرًا واحدًا؛ كفر، ولو كان موحِّدًا، ولا يلزم من إطلاق الكفر أنه لا يكفر حتىٰ يكفر بجميع ما جاء به الرسول ﷺ.

«فَإِنَّهُ مِنْ أَنْفَعِ مَا فِي هَذِهِ الأَوْرَاقِ»: يعني في هذا الكتاب.

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره، (١١/ ٥٤٣)، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عبد الله بن عمر، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

**الجواب الثامن قوله:**

«وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَىٰ ذَلِكَ -أَيْضًا-: مَا حكَىٰ اللهُ ﷻ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَع إِسْلاَمِهِمْ، وَعِلْمِهِمْ، وَصَلاَحِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وَقَوْلُ أُنَاسٍ مِن الصَّحَابَةِ: «اجْعَلْ لَنَا ذاتَ أَنْوَاطٍ»، فَحَلَفَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنَّ هَذَا نَظِيْرُ قَوْلِ بنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾، وَلَكِنْ لِلمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ يُدْلُونَ بِهَا عِنْدَ هَذِهِ القِصَّةِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يكْفُرُوا بذلك، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُم ذاتَ أَنْوَاطٍ.

فَالجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَفْعَلُوا، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَفْعَلُوا، وَلاَ خِلاَفَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ؛ لَكَفَرُوا، وَكَذَلِكَ لاَ خِلاَفَ فِي أَنَّ الَّذِينَ نَهَاهُم النَّبِيُّ ﷺ لَوْ لَمْ يُطِيعُوهُ، وَاتَّخَذُوا ذَاتَ أَنْوَاطٍ بَعْدَ نَهْيِهِ؛ لَكَفَرُوا، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ»: أي: أن الذين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ لما قال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ انتهَوا، ولم يصروا علىٰ طلبهم، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ، كما في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: «يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ»، لما قال لهم: «قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[1] كفُّوا وانتهوا.

ونظيره لو أراد شخص لبس خاتم الذهب، فقيل له: هذا حرام عليك، فإن أصر وأخذه ولبسه؛ أثِم، وارتكب محرَّمًا، وإن كفَّ عن ذلك؛ فلا شيء عليه.

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٨٩٧)، وقال الترمذي عقبه: «حديث حسن صحيح».

«وَلَكِنْ هَذِهِ الْقِصَّةُ تُفِيدُ: أَنَّ الْمُسْلِمَ -بَل الْعَالِمَ- قَدْ يَقَعُ فِي أَنْوَاعٍ مِنْ الشِّرْكِ لاَ يَدْرِي عَنْهَا»: فالمسلم قد يقع في أنواع من الشرك، أو البدعة، أو في ارتكاب محظور وهو لا يدري؛ ولذا فإن هذه القصة تفيد ثلاث فوائد:

**الفائدة الأولىٰ قوله:**

«فَتُفِيدُ التَّعَلُّمَ وَالتَّحَرُّزَ»: فتفيد الاحتياط للنفس؛ لئلا ينزلق وهو لا يشعر، ومن ذلك ما ذُكر عن السلف أنهم كانوا يتركون تسعة أعشار الحلال خشية أن يقعوا في الحرام[١].

وقد رأينا ممن كان يزاول الدعوة، وله فضل وعلم وعمل وعبادة، يتساهَل في بعض الأمور، فانحرف إلىٰ ما لا يحمد عقباه، ومعلومٌ أن التساهل يجر إلىٰ ما هو أشد منه، والنفس لا نهاية لمطالبها:

**والـنفسُ كالطفـلِ إن تهملْـه شـبَّ علـىٰ ... حـبِّ الرَّضـاع وإن تفطمْـه يـنفطمِ**[٢]

«وَمَعْرِفَةَ أَنَّ قَوْلَ الْجَاهِلِ: «التَّوْحِيدُ فَهِمْنَاهُ» أَنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْجَهْلِ، وَمكَائِدِ الشَّيْطَانِ»:

ففي رسالة للشيخ ﷺ من أحدهم يقال له المويس، يقول فيها: «بنيات حرمة وعيالُهم يعرفون التوحيد فضلًا عن رجالهم»[٣]، ثم يقعون في الشرك الأكبر وهم يقولون هذا الكلام.

---

(١) أخرج عبد الرزاق في: المصنف، (١٤٦٨٣)، عن عمر ﷺ قال: «**تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا**»، وذكره الغزالي في: إحياء علوم الدين، (٢/ ٩٥)، عن عمر قوله: «**كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام**».

(٢) البيت رقم (١٨)، من بردة البوصيري.

(٣) مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ في الرسالة الخامسة والعشرين، (ص١٧٣).

وقد كان التوحيد يُدرَّس في المدارس، فالأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، وكشف الشبهات، كانت تحفظ في الابتدائي، ثم يُبدأ بكتاب التوحيد من السنة الأولىٰ في المتوسط، فيحفظ ويشرح، وكان الأساتذة في ذلك الوقت غير الأساتذة في هذا الوقت، ثم بعد ذلك تُقرأ كتب التوحيد الأخرىٰ، كالواسطية، والحموية، والتدمرية، والطحاوية، وتُشرح علىٰ منهج سليم مستقيم.

والآن خُفِّفت مقررات وساعات التوحيد، وصار المُـكرر يُحذف، مع أن التكرار هو الذي يثبت العلم، فإذا انتهىٰ الطالب من الجامعة؛ إذا به ليس معه شيء، ومع ذلك فإن الذين قبلهم يقولون: «التوحيد فهمناه».

**والفائدة الثانية قوله:**

«**وَتُفِيدُ - أَيْضًا - أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُجْتَهِدَ الَّذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلاَمِ كُفْرٍ وَهُوَ لاَ يَدْرِي، فَنُبِّهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، فتَابَ مِنْ سَاعَتِهِ؛ أَنَّهُ لاَ يَكْفُرُ، كَمَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيل، وَالَّذِينَ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ**»: لكن لو أصروا؛ كفروا بلا شك.

**والفائدة الثالثة قوله:**

«**وَتُفِيدُ -أَيْضًا- أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ يُغَلَّظُ عَلَيْهِ الْكَلاَمُ تَغْلِيظًا شَدِيدًا، كَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**»: لئلا يعود إلىٰ مثل هذا الطلب، وإذا أراد أن يطلب؛ فإنه يحسب ألف حساب لمثل هذا، فعندما قالوا: «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**» قال لهم النبي ﷺ: «**قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾، إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» فشدد وغلَّظ عليهم النبي ﷺ؛ لأن الأمر منكر وعظيم، ولئلا يعود الطلب مرة أخرىٰ.

## [الشبهة الحادية عشرة: حقن الدم بمجرد نطق الشهادة]

«وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَىٰ أُسَامَةَ رضي الله عنه قَتْلَ مَنْ قَالَ: (لا إِلَهَ إِلا اللهُ)، وقَالَ: «أَقتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِله إِلَّا الله؟»، وَكَذَلِكَ قَوْلُه ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ»، وَأَحَادِيثُ أُخْرَىٰ فِي الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا، وَمرُادُ هَؤلاَءِ الْجَهَلَةِ أَنَّ مَنْ قَالَهَا لاَ يَكْفُرُ، وَلاَ يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ.

فَيُقَالُ لِهَؤُلاءِ الْجَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ، وَسَبَاهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبي طَالِبٍ رضي الله عنه بِالنَّارِ.

وَهَؤُلاءِ الْجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ كَفَرَ، وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ؛ كَفَرَ، وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَهَا، فَكَيْفَ لاَ تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فَرْعًا مِن الْفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَّوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟!، وَلكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَىٰ الأَحَادِيثِ.

فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ رضي الله عنه؛ فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَىٰ الإِسْلاَمَ؛ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَاهُ إِلَّا خَوْفًا عَلَىٰ دَمِهِ وَمَالِهِ؛ وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ؛ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ حَتَىٰ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ الله -تعالىٰ- فِي ذَلِكَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤]، أَيْ: فَتَثَبَّتُوا، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُ، وَالتَّثَبُّتُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلاَمَ قُتِلَ لِقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وَلَوْ كَانَ لاَ يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنًى.

وَكَذلِكَ الْحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ، مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ وَالتَّوْحِيدَ؛

وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ؛ إِلَّا أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ الَّذِي قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟»، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ»، هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»، مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً، وتَهْلِيلًا، وَتَسْبِيحًا، حَتَّىٰ إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ صَلَاتَهُم عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِن الصَّحَابَةِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَلاَ كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ، وَلاَ ادِّعَاءُ الإِسْلاَمِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ.

وَكَذلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ ﷺ بَنِي حَنِيفَةَ، وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي الْمُصْطَلِقْ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ، وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ التِي احْتَجُّوا بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ».

## الشَّرْح

«وَلِلْمُشْرِكِينَ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ: يَقُولُونَ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَىٰ أَسَامَةَ ﷺ قَتْلَ مَنْ قَالَ: (لا إِلَهَ إِلا اللهُ)، وقَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلهَ إِلَّا الله؟»: فالنبي ﷺ أنكر علىٰ أسامة بن زيد لما قَتَل المشرك الذي قال: (لا إله إلا الله)، وشدد عليه النكير، وقال له: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!» واعتذر أسامة بأن الرَّجل ما قالها إلا خوفًا من السيف، والنبي ﷺ يكرر: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟!» إلىٰ أن قال: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟»[(١)].

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ أسامةَ بنَ زيد إلىٰ الحرُقات من جهينة، (٤٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: (لا إله إلا الله)، (٩٦)، من حديث أَسَامَةَ ﷺ.

فالأحكام تبنىٰ علىٰ الظواهر، وأما البواطن والسرائر؛ فإنها توكل إلىٰ الله ﷻ، فمثل هذا يجب الكَفُّ عنه إذا قال: (لا إله إلا الله)؛ إذ يكون قد دخل بها في الإسلام، ولم يتبيَّن من حاله أنه جاء بما ينقض (لا إله إلا الله)، ثم يُتثبَّت في أمره، ويُنظَر هل يثبت علىٰ (لا إله إلا الله)، ويعمل بمقتضاها، أو ينقض (لا إله إلا الله)، فيكون مرتدًّا مستوجبًا للقتل؟

«وَكَذَلِكَ قَوْلُه ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ»: «فَإِذَا قَالُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»[1]، وحق (لا إله إلا الله) ألَّا تُنقَض، فإذا كان من حقها الصلاة والزكاة؛ فمن حقها أيضًا ألَّا يؤتىٰ بما يناقضها من الشرك، فمن فعل هذا لم يعمل بحق (لا إله إلا الله).

«وَأَحَادِيثُ أُخْرَىٰ فِي الْكَفِّ عَمَّنْ قَالَهَا، وَمُرَادُ هَؤلاَءِ الْجَهَلَةِ أَنَّ مَنْ قَالَهَا لاَ يَكْفُرُ، وَلاَ يُقْتَلُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ»: وهذا ليس بصحيح، وتقدَّم كلام الشيخ فيما ذكره عن أهل المذاهب الأربعة، في باب حكم المرتدِّ من كتبهم، وأنهم حكموا بالردة علىٰ مَن فَعَل أشياء ولو كانت يسيرة في نظر قائلها، ولو لم يُلقِ لها بالًا.

«فَيُقَالُ لِهَؤُلاءِ الْجَهَلَةِ الْمُشْرِكِينَ: مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ، وَسَبَاهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)، وَأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ، وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَيُصَلُّونَ، وَيَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَّقَهُمْ عَلِيُّ بنُ أَبي طَالِبٍ ﷺ بِالنَّارِ»: فهؤلاء يقولون: (لا إله إلا الله) إلا أنهم نقضوها بادعاء الألوهية لعَلِي ﷺ، وبنو حنيفة أيضًا صدَّقوا مسيلمة، وزعموا أنه نبي، ورفعوه إلىٰ مستوىٰ محمد ﷺ وتقدم في كلام الشيخ ﷺ

(١) تقدم تخريجه (ص ٢٤).

أن مَن رَفَع بَشَرًا إلىٰ رتبة بشر؛ فإنه يكفر، ويُقتَل، فكيف بمن رفع بَشَرًا إلىٰ رتبة جبَّار السموات والأرض؟!.

«وَهَؤُلاءِ الْجَهَلَةُ مُقِرُّونَ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ؛ كَفَرَ، وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ؛ كَفَرَ، وَقُتِلَ، وَلَوْ قَالَهَا»: وهذا كله تَقدَّم، فلو أَقَرَّ بالشهادتين وجحد الصلاة؛ فإنه يكفر إجماعًا، ولو أقر بالشهادتين والصلاة وجحد الزكاة؛ كذلك يكفر بالإجماع، وكذا لو أنكر وجوب الصيام أو الحج كما تقدم في كلام الشيخ رحمه الله.

«فَكَيْفَ لاَ تَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ فَرْعًا مِن الْفُرُوعِ، وَتَنْفَعُهُ إِذَا جَحَدَ التَوْحِيدَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ دِينِ الرُّسُلِ وَرَأْسُهُ؟!»: فلو قال: الصلاة غير واجبة؛ فإن (لا إله إلا الله) لا تنفعه، فكيف إذا جحد التوحيد الذي هو الأصل، مع أن بعض العلماء ينازع في كون الأركان فروعًا؛ لأن قوله ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ»[1] يعني: أن كلَّها أصول ودعائم وأركان كالشهادتين، مع أنها إنما تُبحَث في كتب الفروع التي هي كتب الفقه، وأحكامها لا شك أنها فروع، وإن كانت الصلاة أصلًا من أصول الدين، وركنًا من أركانه، والزكاة والصوم والحج كذلك.

والمراد بالتوحيد المجحود هنا: هو توحيد الألوهية، وأما توحيد الربوبية؛ فقد كانوا يقرون به، ويرونه هو المطلوب.

«وَلكِنَّ أَعْدَاءَ اللهِ مَا فَهِمُوا مَعْنَىٰ الأَحَادِيثِ»: فيضربون بعضها ببعض، وهذه عادة أهل الزيغ الذين يتتبعون المتشابه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان،باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام علىٰ خمس»، (٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام علىٰ خمس»، (١٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

«فَأَمَّا حَدِيثُ أُسَامَةَ ﷺ، فَإِنَّهُ قَتَلَ رَجُلًا ادَّعَىٰ الإِسْلَامَ؛ بِسَبَبِ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَا ادَّعَاهُ إِلَّا خَوْفًا عَلَىٰ دَمِهِ وَمَالِهِ»: قد يقال: ما دام قتل مسلمًا، فلماذا لم يُقتَصَّ منه؟ فالجواب: أن له شبهة، وهي أنه ما قال: (لا إله إلا الله) إلا اتقاء السيف.

«وَالرَّجُلُ إِذَا أَظْهَرَ الإِسْلَامَ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ»: مثل هذا الذي قال: (لا إله إلا الله).

«حَتَىٰ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ»: أي: ما ينقض (لا إله إلا الله)، مما يوجب الردة.

«وَأَنْزَلَ الله -تعالىٰ-فِي ذَلِكَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ [النساء: ٩٤]، أَيْ: فَتَثَبَّتُوا، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ الْكَفُّ عَنْهُ، وَالتَّثَبُّتُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يُخَالِفُ الإِسْلَامَ؛ قُتِلَ؛ لِقَوْلِهِ -تعالىٰ-: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾، وَلَوْ كَانَ لاَ يُقْتَلُ إِذَا قَالَهَا؛ لَمْ يَكُنْ لِلتَّثَبُّتِ مَعْنَىٰ»: ومعنىٰ: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أي: انظروا في أمره، هل استمر علىٰ (لا إله إلا الله)، وعمل بمقتضاها، وعرف ما يناقضها واجتنبه، أو أنه قال: (لا إله إلا الله) بلسانه، ولم يقر الإيمان في قلبه، وجاء بما يناقضها؟!؛ فإنه حينئذٍ يقتل، ولو قال: (لا إله إلا الله)، ولو كان لا يقتل إذا قالها؛ لم يكن للتثبت معنىٰ.

وكثير من الوافدين من الرجال والنساء يحرص كفلاؤهم علىٰ أن يسلموا، ويترددون بهم علىٰ مكاتب الجاليات، ويعلمونهم، فمنهم من يسلم بعد المعرفة والقناعة، ومنهم من يسلم تبعًا لغيره، كأن يأتي مع زميله فيسلم، وهو لا يعرف شيئًا، ثم يرىٰ أن يرجع إلىٰ دينه.

ولذلك فإنه يُتثبَّت في الأمر، ولا يُدخَل في الإسلام إلا عن قناعة؛ لأنه إن رجع كان الأمر أشد، ويصير مرتَدًّا، ويستتاب، فإن تاب؛ وإلا قُتِل، كما في حديث: «مَنْ

بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[(١)].

«وَكَذلِكَ الْحَدِيثُ الآخَرُ وَأَمْثَالُهُ، مَعْنَاهُ مَا ذَكَرْناهُ أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ وَالتَّوْحِيدَ؛ وَجَبَ الْكَفُّ عَنْهُ؛ إِلَّا أَنْ يَتَبَيَّنَ مِنْهُ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ، وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ هَذَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ الَّذِي قَالَ: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟»، وَقَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلا اللهُ»، هُوَ الَّذِي قَالَ فِي الْخَوَارِجِ: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ؛ فَاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ؛ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»، مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ عِبَادَةً، وتَهْلِيلًا، وَتَسْبِيحًا، حَتَّىٰ إِنَّ الصَّحَابَةَ يَحْقِرُونَ صَلاَتَهُم عِنْدَهُمْ، وَهُمْ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِن الصَّحَابَةِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمْ (لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَهُ)، وَلاَ كَثْرَةُ الْعِبَادَةِ، وَلاَ ادِّعَاءُ الإِسْلاَمِ لَمَّا ظَهَرَ مِنْهُمْ مُخَالَفَةُ الشَّرِيعَةِ»: فالخوراج يقولون: (لا إله إلا الله)، ويصلون، ويزكون، ويصومون، ويقرؤون القرآن، ويحقر الإنسان عبادته مع عبادتهم؛ كما جاء في الحديث: «تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[(٢)].

و«يَمْرُقُونَ» يعني: يخرجون، وبين أهل العلم خلافٌ في المراد بالدين، هل هو الإسلام أو التدين؟ فإذا قلنا: إن المراد بالدين الإسلام؛ فمعناه أنهم يكفرون ويخرجون منه، وإذا قلنا: المراد به التدين؛ فلا يمنع أن يخرجوا من دائرة التدين إلىٰ دائرة الفسق، وأكثر أهل العلم علىٰ أنهم لا يَكْفُرون، والصحابة لما قاتلوهم لم يعاملوهم معاملة الكفار؛ فلم يسبوا ذراريهم، ولا غنموا أموالهم[(٣)].

(١) تقدم تخريجه (ص ١١٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءىٰ بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به، (٥٠٥٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد ﷺ مرفوعًا.

(٣) ينظر: فتح الباري، (١٢/ ٢٩٩- ٣٠٠).

وعلىٰ كل حال فهم من شر البرية، يقتلون المؤمنين ويتركون الكفار[١].

«وَكَذلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قِتَالِ الْيَهُودِ، وَقِتَالِ الصَّحَابَةِ ﷺ بَنِي حَنِيفَةَ، وَكَذَلِكَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَغْزُوَ بَنِي الْمُصْطَلِقْ لَمَّا أَخْبَرَهُ رَجُلٌ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، وَكَانَ الرَّجُلُ كَاذِبًا عَلَيْهِمْ، وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الأَحَادِيثِ التِي احْتَجُّوا بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ»: بعث النبيُّ ﷺ رجلًا إلىٰ بني المصطلق يأخذ الزكاة منهم، فلما أقبل عليهم خاف أن يقتلوه، فرجع ولم يخبرهم بذلك، وأخبر النبيَّ ﷺ أنهم رفضوا أن يدفعوا الزكاة، فأراد النبي ﷺ قتالهم، ونزل قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] فكف النبي ﷺ عن قتالهم[٢]، والقراءة الأخرىٰ (فتثبتوا)[٣].

## ۞ [الشبهة الثانية عشرة: الاحتجاج بحديث الشفاعة الكبرى]

«وَلَهُمْ شُبْهَة أُخْرَىٰ، وَهِيَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ، ثُمَّ بِعِيسَىٰ فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُون، حَتَىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكًا.

فَالْجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَعْدَائِهِ؛ فَإِنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِالْمَخلُوقِ

(١) كما في حديث أبي سعيد السابق، وفيه: «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ».

(٢) روي هذا الحديث من طريق جماعة من الصحابة، وأسانيده كلها لا تخلو من مقال، وأحسنها ما أخرجه أحمد (١٨٤٥٩)، عن محمد بن سابق، عن عيسىٰ بن دينار، عن أبيه، عن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي ﷺ، وجود إسناده السيوطي في: الدر المنثور، (٧/ ٥٥٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري، (٢١/ ٣٤٨).

فيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لاَ نُنْكِرُهَا، كَمَا قَالَ اللهُ فِيْ قِصَّةِ مُوْسَىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]، وَكَمَا يَسْتَغِيثُ إِنْسَانٌ بِأَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ، أَوْغَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ، وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاء، أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ -تَعَالَىٰ-.

إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَاسْتِغَاثَتُهُم بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَاسَ حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْجَنَةِ مَنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ، وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْتَيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ، وَيَسْمَعُ كَلاَمَكَ، فتَقُولَ لَهُ: ادْعُ اللهَ لِي، كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ ذَلكَ فِي حَيَاتِهِ، وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ؛ فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِك عِنْدَ قَبْرِهِ؛ بل أَنكَرَ السَّلَفُ عَلَىٰ مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فكَيْفَ بِدُعائِهِ نَفْسَهِ؟!».

## الشَّـرْح

«وَلَهُمْ شُبْهَة أُخْرَىٰ، وَهِيَ مَا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَغِيثُونَ بِآدَمَ، ثُمَّ بِنُوحٍ، ثُمَّ بِإِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ بِمُوسَىٰ، ثُمَّ بِعِيسَىٰ، فَكُلُّهُمْ يَعْتَذِرُون، حَتَىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالُوا: فَهَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِغَيْرِ اللهِ لَيْسَتْ شِرْكًا»: فكل واحد من هؤلاء الأنبياء يذكر ذنبه، ويعتذر به، وإن كان بعضها خلاف الأولىٰ، فآدم يقول: «**إِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ**»، وإن كانت هذه المعصية قد تاب منها، واجتباه ربه بعد ذلك وهداه؛ ولكنه عذرٌ في المقام، ومن أجل أن يبين فضل محمد ﷺ، ثم يقول: «**اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ**»، فيأتون نوحًا، فيعتذر ويقول: «**إِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي**»، و«**يَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ**»، فإنه أراد أن يشفع لولده، والشفاعة لا تناله، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]،

ثم يأتون إبراهيم، ويذكر الكذبات الثلاث، وكلها في ذات الله، ثم موسىٰ، ويذكر قتله النفس التي لم يؤمر بقتلها، ثم عيسىٰ، ولا يذكر ذنبًا، ثم يأتون إلىٰ محمد ﷺ، والنبي ﷺ يقول: «**أَنَا لَهَا**»، ثم يسجد تحت العرش، ويُلهم بمحامد وأشياء لم يكن يعرفها في حياته، ثم يقال له ﷺ: «**ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»[1].

فيستغيثون بأبي البشر أولًا، ثم بالخمسة أولي العزم، واستغاثوا بهم يعني: طلبوا منهم أن يدعوا الله ليكشف عنهم الكرب الذي هم فيه.

«**فَالْجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ مَنْ طَبَعَ عَلَىٰ قُلُوبِ أَعْدَائِهِ؛ فَإِنَّ الاسْتِغَاثَةَ بِالْمَخلُوقِ فيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لاَ نُنْكِرُهَا**»: فلو اعتدىٰ صائل علىٰ آخر ليقتله، فوجد من المسلمين من يغيثه ومعه سلاح، ويستطيع أن ينفعه، فقال له: يا فلان أغثني، فهذا لا يُنكَر.

«**كَمَا قَالَ اللهُ فِيْ قِصَّةِ مُوْسَىٰ**: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾»: لأن موسىٰ كان حيًّا، ويقدر علىٰ إغاثته.

«**وَكَمَا يَسْتَغِيثُ إِنْسَانٌ بِأَصْحَابِهِ فِي الْحَرْبِ أَوغَيْرِهِ فِي أَشْيَاءَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمَخْلُوقُ، وَنَحْنُ أَنْكَرْنَا اسْتِغَاثَةَ الْعِبَادَةِ الَّتِي يَفْعَلُونَهَا عِنْدَ قُبُورِ الأَوْلِيَاء**»: فالأولياء لا يستطيعون أن يدفعوا عنهم أو ينفعوهم بشيء وهم في قبورهم، ولو استطاعوا النفع لغيرهم؛ لنفعوا أنفسهم وهم تحت التراب.

ومما ذكر عن البدوي أنه في يوم الجمعة، لما فرغ الخطيب، وأقيمت الصلاة، وضع أحمد البدوي رأسه في طوقه بعد ما قام قائمًا، وكشف عن عورته بحضرة الناس، وبال علىٰ ثيابه، وحصر المسجد، واستمر ورأسه في طوق ثوبه وهو جالس

(١) تقدم تخريجه (ص ٢١).

إلىٰ أن انقضت الصلاة، ولم يصل[١]، ولما مات عكفوا علىٰ قبره! ومع هذا يزور قبره في كل سنة سبعة ملايين شخص، فأين العقول؟!

وقد تقدم في كلام الشيخ أن الصالحين والعباد والأتقياء تميل النفوس إلىٰ تعظيمهم، وأما مثل هذا؛ فمن يعظمه؟! وهل يوجد من يعظم مجنونًا إلا مجنون مثله؟!.

«أَوْ فِي غَيْبَتِهِمْ فِي الأَشْيَاءِ الَّتِي لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ -تَعَالَىٰ-»: أو بحضورهم، فلو قلت: يا فلان أغثني في حمل هذه الصخرة التي تزن خمسمائة كيلو؛ فهذا شرك؛ لأنك استغثت بمخلوق فيما لا يقدر عليه، فإنه لا يقدر أن يحمل جزءًا يسيرًا منها.

«إِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ؛ فَاسْتِغَاثَتُهُم بِالأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرِيدُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَدْعُوا اللهَ أَنْ يُحَاسِبَ النَاسَ حَتَّىٰ يَسْتَرِيحَ أَهْلُ الْجَنَةِ مَنْ كَرْبِ الْمَوْقِفِ»: فلا يأتون إلىٰ الأنبياء ويقولون: أغيثونا وارفعوا عنا هذا الكرب، وإنما يقولون: ادعوا الله أن يفرج عنا، فهذه استغاثة بمخلوق فيما يقدر عليه.

«وَهَذَا جَائِزٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَ عِنْدَ رَجُلٍ صَالِحٍ حَيٍّ يُجَالِسُكَ، وَيَسْمَعُ كَلاَمَكَ، فَتَقُولَ لَهُ: ادْعُ اللهَ لِي»: وقد أمر النبيُّ ﷺ الصحابةَ أن يأتوا أويسًا وهو من التابعين، ويطلبوا منه الدعاء، وجاءه عمر كما في صحيح مسلم، وطلب منه الدعاء[٢].

«كَمَا كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ ذَلِكَ فِي حَيَاتِهِ»: فطلب الدعاء من الحي القادر لا إشكال فيه، وجاءت به النصوص، والنبي ﷺ جاءه أعرابي وهو علىٰ

(١) ينظر: الضوء اللامع للسخاوي، (٩/ ١٥٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أويس القرني، (٢٥٤٢).

المنبر، فطلب منه أن يدعو ويستسقي للناس، فسُقوا ولم يروا الشمس سبتًا، ثم جاء الأعرابي نفسه أو غيره فقال: يا رسول الله: هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها[١].

وقحط الناس في سنة سبع عشرة في عهد عمر، وأجدبوا، واستسقىٰ عمر، وقال: «**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**»[٢] مع أن النبي ﷺ في بيته قريب منهم؛ ولكنه في قبره، فلو كان الاستسقاء والاستشفاع بالنبي ﷺ بعد وفاته جائزًا؛ لما ساغ لعمر أو غيره أن يستشفع بالعباس والنبي ﷺ موجود؛ ولكنه مادام في قبره فلا يقدر علىٰ مثل هذا، فكيف بغيره؟!

«**وَأَمَّا بَعْدَ مَوْتِهِ؛ فَحَاشَا وَكَلَّا أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ ذَلِك عِنْدَ قَبْرِهِ؛ بَلْ أَنكَرَ السَّلَفُ عَلَىٰ مَنْ قَصَدَ دُعَاءَ اللهِ عِنْدَ قَبْرِهِ، فكَيْفَ بِدُعائِهِ نَفْسَهِ؟!**»: كما جاء عن علي بن الحسين زين العابدين ابن علي بن أبي طالب أنه رأىٰ رجلًا يطل مع نافذة علىٰ قبره ﷺ ويدعو الله، فنهاه عن ذلك[٣]، مع أنه يدعو الله، ولا يدعو النبي ﷺ؛ ولكن هذه وسيلة من وسائل الشرك.

---

(١) أخرجه البخاري، أبواب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، (١٠١٣)، ومسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، (٨٩٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، أبواب الاستسقاء، باب سؤال الناس الاستسقاء إذا قحطوا، (١٠١٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرج ابن أبي شيبة في: المصنف، (٧٦٢٤)، من طريق عن علي بن الحسين، أنه رأىٰ رجلًا يجيء إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيها، فيدعو، فدعاه، فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ، قال: «**لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلاَ بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ وَتَسْلِيمَكُم يَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ**». وحسنه ابن حجر في: نتائج الأفكار، (٤/ ٢٢)، والسخاوي في: المقاصد الحسنة، (ص٤٢٣).

## [الشبهة الثالثة عشرة: الاحتجاج بقول جبريل لإبراهيم: ألك حاجة؟]

«وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ، وَهِي قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْهَوَاءِ، فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا إِلَيْكَ؛ فَلاَ، قَالُوا: فَلَوْ كَانَتِ الاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شِرْكًا لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبهَةِ الأُولَىٰ، فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ اللهُ -تعالى- فِيهِ: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، فَلَوْ أَذِنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الأَرْضِ، وَالْجِبَالِ، وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَشْرِقِ، أَوْ الْمَغْرِبِ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَن يَرْفَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ؛ لَفَعَلَ، وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَىٰ رَجُلًا مُحْتَاجًا، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَن يُقْرِضَهُ أَوْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ اللهُ بِرِزْقٍ لاَ مِنَّةَ فِيهِ لأَحدٍ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ اسْتِغَاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشِّرْكِ، لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!».

### الشَّرْح

«وَلَهُمْ شُبْهَةٌ أُخْرَىٰ، وَهِي قِصَّةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ، اعْتَرَضَ لَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْهَوَاءِ، فَقَالَ: أَلَكَ حَاجَةٌ؟ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا إِلَيْكَ؛ فَلاَ، قَالُوا: فَلَوْ كَانَتِ الاسْتِغَاثَةُ بِجِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ شِرْكًا؛ لَمْ يَعْرِضْهَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ»: فالنمرود أضرم نيرانًا كبيرة جدًا، حتىٰ إنهم لا يستطيعون أن يقربوا منها لشدة أمرها، وعظم حرها، ثم ألقي إبراهيم عليه السلام بالمنجنيق، وقبل أن يصل جاءه جبريل عليه السلام[1].

(١) أخرج ابن جرير في: تفسيره، (١٦/ ٣١٩)، من طريق معتمر بن سليمان، عن بعض أصحابه قال: =

والقصة في ثبوتها نظر، والأكثر علىٰ عدم ثبوتها، وعلىٰ تقدير ثبوتها «**فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا مِنْ جِنْسِ الشُّبهَةِ الأُولَىٰ، فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ عليه السلام عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْفَعَهُ بِأَمْرٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ الله -تعالىٰ-فِيهِ: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، فَلَوْ أَذِنَ اللهُ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَارَ إِبْرَاهِيمَ، وَمَا حَوْلَهَا مِن الأَرْضِ، وَالْجِبَالِ، وَيُلْقِيَهَا فِي الْمَشْرِقِ، أَوْ الْمَغْرِبِ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ اللهُ ﷻ أَنْ يَضَعَ إِبْرَاهِيمَ فِي مَكَانٍ بَعِيْدٍ؛ لَفَعَلَ، وَلَوْ أَمَرَهُ أَن يَرْفَعَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ؛ لَفَعَلَ، وَهَذَا كَرَجُلٍ غَنِيٍّ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يَرَىٰ رَجُلًا مُحْتَاجًا، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَن يُقْرِضَهُ أَوْ يَهَبَهُ شَيْئًا يَقْضِي بِهِ حَاجَتَهُ، فَيَأْبَىٰ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُحتَاجُ أَنْ يَأْخُذَ، وَيَصْبِرُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ اللهُ بِرِزْقٍ لاَ مِنَّةَ فِيهِ لأَحَدٍ، فَأَيْنَ هَذَا مِنْ اسْتِغَاثَةِ الْعِبَادَةِ وَالشِّرْكِ، لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ؟!**

فجبريل حيٌّ قادرٌ علىٰ أن ينقل النار ومن حولها بقُراها وسكانها ويلقيها في المشرق أو المغرب، كما فعل بقرىٰ قوم لوط، وقادر علىٰ أن ينتشل إبراهيم عليه السلام من هذه النار، ويجعله في مكان آمن، أو يرفعه إلىٰ السماء؛ فلا إشكال في مثل هذا الطلب، وهذا علىٰ تقدير صحتها؛ وإلا فإنها لم تثبت.

وإبراهيم عليه السلام قد كان جوابه: «**أما منك؛ فلا، وأما من الله؛ فبلىٰ**»، وتوكَّلَ علىٰ الله وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ ولذا جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا:

---

= جاء جبريل إلىٰ إبراهيم -عليهما السلام-، وهو يوثَّق أو يقمَّط ليلقىٰ في النار، قال: «**يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك؛ فلا**»؛ وهذا الإسناد ضعيف، لجهالة شيخ سليمان، كما أن الحديث مقطوع، وليس مرفوعًا.

وأخرجه أبو نعيم في: حلية الأولياء، (١/ ٢٠)، من طريق إسحاق بن بشر، عن مقاتل وسعيد من قولهما بنحو القصة، وفيها قال إبراهيم: «**أما إليك؛ فلا، حاجتي إلىٰ الله ربي**»، وإسحاق بن بشر قال فيه الدارقطني في: الضعفاء والمتروكين، (١/ ٢٥٧): «كذاب متروك».

وأخرجه البيهقي في: شعب الإيمان، (١٠٤٥)، من قول بشر بن الحارث بنحوه، وأخرجه -أيضًا-، (١٢٣٤)، من قول أبي يعقوب النهرجوري بنحوه.

﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]»[(١)].

والمقصود أن الأكمل في حق إبراهيم عليه السلام لمقامه ومنزلته عند الله، وقوة توكُّله عليه؛ هو ما حصل، فإنه توكَّل علىٰ الله حق التوكُّل، فأنقذه الله بقوله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، فصارت روضة خضراء؛ ولكن لو وافق علىٰ طلب الإغاثة بأن ينقذه جبريل من النار بأمر الله ﷻ،فإنها تكون استغاثةً من مخلوق فيما يقدر عليه، وليست من نوع ما يدعون.

ذكر القشيري في «الرسالة القشيرية»[(٢)] قصة، ونقلها مختصرة عنه الشاطبي في «الموافقات»[(٣)]، عن أحدهم أنه قال: «بينما أنا أمشىٰ فِي الطريق، إذ وقعت فِي بئر، فنزعتني نفسي أَن أستغيث، فَقُلْتُ: لا والله لا أستغيث، فما استتممت هذا الخاطر حتىٰ مر برأس البئر رجلان، فقال أحدهما للآخر: تعال حَتَّىٰ نسد رأس هذه البئر؛ لئلا يقع فِيهَا أحدٌ، فأتوا بقصب وباريةٍ وطمُّوا رأس البئر، فهممت أن أصيح، ثم قلت في نفسي: أصيح علىٰ من هو أقرب منهما، وسكنتُ، فبينما أنا بعد ساعة إذ أنا بشيء جاء، وكشف عَن رأس البئر، وأدلىٰ رجله، وكأنه يقول لي: تعلق بي في همهمة له كنت أعرف ذلك منه، فتعلقت به فأخرجني، فإذا هو سبُع».

فهل يجوز للإنسان أن يصنع مثل صنيع هذا، بأن يُسقَف البئر وهو في جوفه؟

كذلك في قصة أم موسىٰ عليه السلام، حينما وضعته في صندوق، وألقته في البحر؛ فهل لمن يترجح عنده التوكل أن يفعل بولده كما فعلت أم موسىٰ عليه السلام ؟!

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾، (٤٥٦٣).

(٢) (١/ ٣٠٨).

(٣) (٢/ ٤٩٧).

**فالجواب**: أن مثل هذا في شرعنا لا يجوز مهما بلغت درجة التوكل؛ لأن هذا قتلٌ، كما أنه مَن يضمن أنه وصل إلىٰ درجة «من توكل علىٰ الله حق التوكل» مثل ما حصل عند أم موسىٰ لمصلحة راجحة؟

وكذا في قصة صاحب القرض من بني إسرائيل الذي سأل بعض بني إسرائيل بأن يسلفه ألف دينار، فدفعها إليه، فخرج في البحر، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها الألف الدينار، ورمىٰ بها في البحر، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، فإذا بالخشبة، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال[(١)]؛ فهذه القصة وإن كانت قد سيقت في شريعتنا مساق المدح؛ إلا أننا في شرعنا قد نُهينا عن إضاعة المال، وعليه لا يجوز رمي المال بهذه الطريقة.

(١) أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب الزكاة، باب ما يُستخرج من البحر، (١٤٩٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

## [الخـاتمـة:
## التوحيد بالقلب واللسان والعمـل]

«وَلْنَخْتِمِ الْكَلَام إن شاءَ الله -تعالى- بِمَسْألةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ تُفْهَمُ ممَّا تَقَدَّمَ؛ وَلكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الْكَلَامَ؛ لِعِظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الْغَلَطِ فِيهَا، فَنَقُولُ: لاَ خِلاَفَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لابُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ؛ فَإِنْ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا؛ لَمْ يَكُنْ الرَّجُلُ مُسْلِمًا، فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ، كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ، وَأَمْثَالِهِمَا، وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَاسِ، ويَقُولُونَ: هَذَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنهُ الْحَقُّ؛ وَلكِنْ لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلاَ يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ، أَوْغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ؛ وَلَم يَدْرِ الْمِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهْ إلاَّ لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَار؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٤٦].

فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا وهُوَ لاَ يَفْهَمُهُ، أَوْلاَ يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ؛ فَهُوَ مَنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ كَبِيْرَةٌ طَوِيلَةٌ تَتَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ، تَرَىٰ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ، وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ بِهِ؛ لِخَوْفِ نَقْصِ دنيَا، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَاراةٍ لِأَحَد، وَتَرَىٰ مَنْ يَعْمَل بِهِ ظَاهِرًا لاَ بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ؛ فإِذَا هُوَ لاَ يَعْرِفُه.

وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ -تَعَالَىٰ-: أُولاَهُمَا قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٦]، فَإِذَا تَحقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَع الرَّسُولِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المـزْحِ وَاللَّعِبِ؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتكَلَّمُ بِالْكُفْرِ، وَيَعْمَلُ بِهِ؛ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةٍ لأَحدٍ – أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا.

وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ-: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النحل: ١٠٦]، فَلَمْ يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هَؤُلاَءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذا فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِه، سَوَاء فَعَلَهُ خَوْفًا، أَوْ طَمَعًا، أَوْ مُدَارَاةً لأَحَدٍ، أَوْ مَشَحَّةً بِوطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجهِ الْمزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِن اَلأَغْرَاضِ؛ إِلاَّ المُـــكْرَهَ، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ فَلَمْ يَسْتَثْنِ إِلا المُكْرَه، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يُكْرَهُ إِلا عَلَىٰ العَمَلِ والْكَلاَمِ والْفِعْلِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ الْقَلْبِ؛ فَلاَ يُكْرَهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ.

الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧]، فَصَرَّحَ أَنَّ هَذا الكُفْرَ والْعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ، أَوِ الْجَهْلِ، أَوِالْبُغْضِ لِلدِّينِ، أَوْ مَحَبَّةِ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، فَآثَرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ، وَاللهُ أَعْلَمُ».

## الشَّـرْح

«وَلْنَخْتِمْ الْكَلَام إن شاءَ الله -تعالى- بِمَسْأَلةٍ عَظِيمَةٍ مُهِمَّةٍ تُفْهَمُ ممَّا تَقَدَّمَ؛ وَلكِنْ نُفْرِدُ لَهَا الْكَلاَمَ؛ لِعظَمِ شَأْنِهَا، وَلِكَثْرَةِ الْغَلَطِ فِيهَا، فَنَقُولُ: لاَ خِلاَفَ أَنَّ التَّوْحِيدَ لابُدَّ أَنْ يَكُونَ بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْعَمَلِ»: فالتوحيد، وكذلك الإيمان قولٌ باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، فالعمل مثلُ النطقِ والاعتقادِ، ركنٌ ركينٌ، وشرط صحة، كما هو المقرر عند علماء هذه الأمة وسلفها(١).

«فَإِنْ اخْتَلَّ شَيْءٌ مِنْ هَذَا؛ لَمْ يَكُنْ الرّجُلُ مُسْلِمـًا، فَإِنْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ؛ فَهُوَ كَافِرٌ مُعَانِدٌ، كَفِرْعَوْنَ وَإِبْلِيسَ، وَأَمْثَالِهِمَا»: فمن آمن بقلبه، ولم يتكلم بلسانه، ولم يعمل؛ فإنه كافر بلا شك، وهو مثل إبليس، وفرعون؛ فإنهم يعرفون الله ﷻ؛ فإبليس قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢]، ومع ذلك ما انقاد لهذه المعرفة، فحُكِم عليه بالكفر، وفرعون - أيضًا - عرف الله ﷻ؛ كما في قوله -تعالى-: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤]، جحد بها بلسانه بقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وفي باطنه المعرفة، ومع ذلك لم ينفع هذا الإيمان إبليسَ أو فرعونَ، أو من يدعي أنه يكفي في الإيمان المعرفة، وهذا قول غلاة الجهمية، وقد ألَّف من ألَّف منهم في إيمان ونجاة فرعون؛ نسأل الله العافية.

ومثله من نطق باللسان، ولم يعتقد بالقلب، ولم يعمل؛ فهذا حكمه حكم المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وكذا من عمل بالجوارح، ولم ينطق باللسان، ولم يعتقد بالقلب؛ فهذا - أيضًا - لا ينفعه.

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ، (٧/ ١٩٨).

«وَهَذَا يَغْلَطُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَاسِ، ويَقُولُونَ: هَذَا حَقٌ، وَنَحْنُ نَفْهَمُ هَذَا، وَنَشْهَدُ أَنَهُ الْحَقُ، وَلكِنْ لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَفْعَلَهُ، وَلاَ يَجُوزُ عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِنَا إِلَّا مَنْ وَافَقَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الأَعْذَارِ»: يعني: كثير من الناس يقول: الكلام الذي تقولونه في التوحيد حق؛ ولكن لا نستطيع أن نعمل به مداهنة لقومنا.

«وَلَم يَدْرِ الْمِسْكِينُ أَنَّ غَالِبَ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَتْرُكُوهُ إلاَّ لِشَيْءٍ مِنَ الأَعْذَار؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]»: هرقل قد عرف الرسول ﷺ حق المعرفة، وعرف الدين، وأنه حق، وكاد أن يسلم؛ بل طلب من أعوانه أن يدخلوا في هذا الدين، فقال: «هَلْ لَكُمْ فِي الفَلاَحِ وَالرَّشَدِ آخِرَ الأَبَدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ، قَالَ: فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَىٰ الأَبْوَابِ، فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِهِمْ، فَدَعَا بِهِمْ فَقَالَ: إِنِّي إِنَّمَا اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ عَلَىٰ دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمُ الَّذِي أَحْبَبْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ، وَرَضُوا عَنْهُ»[(١)]، حتىٰ إن أسئلته لأبي سفيان، وما عقَّب به علىٰ هذه الأجوبة معرفةُ خبير، ولكنه شحَّ بملكه، وآثر الدنيا علىٰ الدين.

وكذلك لم تنفع أبا طالب معرفته للدين وأنه حق؛ وقد قال:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ ... من خيرِ أديانِ البريَّةِ دِينا

لولا الملامةُ أو حذاري مسبَّة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا[(٢)]

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا﴾ [آل عمران: ٦٤]، (٤٥٥٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) نسبهما إلىٰ أبي طالب ابنُ إسحاق في: السير والمغازي، (ص١٥٥).

لكنه سبقت عليه الشقاوة، وقال في آخر وقته، - ويقال: إنه خاف أو ذعر في هذه اللحظة -: «**هُوَ عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ**»[(١)]، فلم تنفعه معرفته، وأما غلاة الجهمية وبعض الجهلة من الرافضة؛ فقد قالوا بإيمان أبي طالب.

واليهود - أيضًا - يعرفون الرسول ﷺ كما يعرفون أبناءهم؛ لما جاء من صفته في كتبهم، وقد كانوا يستفتحون به علىٰ المشركين، ويقولون: أظلنا وقت نبي سنقاتلكم معه، فلما جاء من العرب حسدوهم، وجحدوا ما عرفوه[(٢)].

«**فَإِنْ عَمِلَ بِالتَّوْحِيدِ عَمَلًا ظَاهِرًا وهُوَ لاَ يَفْهَمُهُ، أَوْلاَ يَعْتَقِدُهُ بِقَلْبِهِ؛ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَهُوَ شَرٌّ مِنَ الْكَافِرِ الْخَالِصِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾** [النساء: ١٤٥]»: النبي ﷺ شفع لعمه أبي طالب؛ لأنه نصره، ونصر دعوته؛ ولذا قال النبي ﷺ: «**لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[(٣)]، فأبو طالب كافر؛ لكنه عرف الحق عن قرب، فكان حكمه حكم المنافقين الذين عرفوا الحق، وعاشوا مع النبي ﷺ والصحابة، وهذا يختلف حكمه عن حكم من جهل الأمر، ولم يعرف من الحق شيئًا كالكفار، ولولا شفاعة النبي ﷺ له بسبب نصرته؛ لكان أبو طالب مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار.

«**وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ طَوِيلَةٌ تَتَبَيَّنُ لَكَ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا فِي أَلْسِنَةِ النَّاسِ، تَرَىٰ مَنْ يَعْرِفُ**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، (١٣٦٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله، (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه.

(٢) ينظر: السير والمغازي لابن إسحاق، (ص٨٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، (٣٨٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، (٢٠٩)، من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مرفوعًا.

**الْحَقَّ، وَيَتْرُكُ الْعَمَلَ بِهِ لِخَوْفِ نَقْصِ دنيَا، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُداراةٍ لِأَحَد، وَتَرَىٰ مَنْ يَعْمَل بِهِ ظَاهِرًا لا بَاطِنًا، فَإِذَا سَأَلْتَهُ عَمَّا يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ؛ فإِذَا هُوَ لاَ يَعْرِفُه»**: كثير من المسؤولين تجده لا يرتكب محظورًا أو يترك مأمورًا خشيةً علىٰ جاهه ووظيفته ومنصبه، أو خوفًا من نقص دنياه، وقد يكون له جاه ومنزلة عند المسؤولين، ويخاف إذا لم يطاوعهم في بعض ما يأمرونه به من مخالفات أن يخف وزنه وجاهه عندهم، أو يعزلوه عن وظيفته؛ مع أن الأرزاق بيد الله ﷻ، والشأن في رضا الله، «**وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ، سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**»[(١)].

ومراد الشيخ المداهنة؛ قال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾[القلم:٩]: أي: يعني لو تتنازل فيتنازلون؛ وهذا يعرض كثيرًا في الأيام الأخيرة؛ فهذا يتنازل، وهذا يتنازل؛ ليحصل تقارب وتفاهم وتعايش؛ فهذه مداهنة لا تجوز بحال.

ولا يريد الشيخ المداراة التي لا يُتنازل فيها عن أمر من أمور الدين، بترك مأمور أو ارتكاب محظور، وقد ترجم البخاري في صحيحه بقوله: باب المداراة، وأورد فيه حديث عائشة أنه استأذن علىٰ النبي ﷺ رجل فقال: «**ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ - أَوْ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ -**»، فلما دخل ألان له الكلام، فقلت له: يا رسول الله، قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول؟ فقال: «**أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ تَرَكَهُ - أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ - اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»[(٢)]، فهذا مما يدل علىٰ جواز المداراة عند الحاجة، بخلاف المداهنة.

---

(١) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد، (٢٤١٤)، وابن حبان (٧١٦)، من حديث عائشة ﵂، واللفظ لابن حبان، وهو عند الترمذي بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس، (٦١٣١)، ومسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب مدارة من يتقىٰ فحشه، (٢٥٩١).

«وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِفَهْمِ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ -تَعَالَى-: أُولاَهُمَا قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٦]، فَإِذَا تَحقَّقْتَ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ غَزَوا الرُّومَ مَع الرَّسُولِ ﷺ كَفَرُوا بِسَبَبِ كَلِمَةٍ قَالُوهَا عَلَىٰ وَجْهِ المـزْحِ وَاللَّعِب؛ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ الَّذِي يَتكَلَّمُ بِالْكُفْرِ، وَيَعْمَلُ بِهِ خَوْفًا مِنْ نَقْصِ مَالٍ، أَوْ جَاهٍ، أَوْ مُدَارَاةٍ لأَحدٍ - أَعْظَمُ مِمَّنْ يَتكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ يَمْزَحُ بِهَا»: لأن هذا آثر الدنيا علىٰ الآخرة، وذاك قال كلمة عابرة يمزح بها.

ونحن نسمع ونقرأ ونشاهد الذين يمزحون ويسخرون بالدين وبأهله، بطريقة المزح، والتمثيل، والتنكيت، ورسوم الكاريكاتير، وما أشبه ذلك، فكل هذا داخل في هذا الباب، نسأل الله السلامة والعافية.

«وَالآيَةُ الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦]»: الإكراه يبحثه العلماء في الأصول، ويبينون درجاتِ الإكراهِ، والإكراهَ الذي يُعذَر به، والإكراهَ الذي لا يعذر به.

وبعض من يطبق مسألة الإكراه يتساهل فيها تساهلًا شديدًا؛ بحيث إذا ضاع عليه أدنىٰ شيء يسميه إكراهًا؛ حتىٰ إن بعضهم يقول: إذا قال الزوج لزوجته: إن لم تفعلي كذا؛ فأنت طالق؛ فهو إكراه، أو إذا دعاها في رمضان إلىٰ الفراش، وقال لها: إن لم تفعلي؛ فأنت طالق؛ فهو إكراه.

وبعض الناس إذا أُكرِه ورأىٰ أنه يجوز له أن ينطق بالكفر، يقول: أنا في حل الآن، والأمر جائز؛ فينشرح صدره لما قال؛ فهذا لا شك أنه كافر.

نظير من أكرهت علىٰ الزنا، فإذا تلذذت بعد الإكراه وقع عليها ذنب الزنا؛

لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النور: ٣٣]، وبيان ذلك: أن المرأة المكرهة غير مؤاخذة أصلاً، فتكون المغفرة -علىٰ القول بأن متعلقها النساء المكرهات- إنما تكون لتلذذها بالفاحشة بعد الإكراه، لا لوقوع الفاحشة عليها وهي مكرهة.

والإكراه عند أهل العلم هو الإلجاء؛ بأن يخاف علىٰ نفسه، أو علىٰ ولده، أو عرضه من الهلاك، وبعضهم يضيف المال، فإذا خشي علىٰ أخذ ماله بالكلية؛ فإنهم يعدونه مكرهًا.

وثمت فرق بين التقية المشروعة وغير المشروعة، كما أنّ هناك فرقًا بين الحيلة المشروعة وغير المشروعة؛ فالروافض يتقون بإخفاء الكفر، وأما تقية المسلم، فِلكي يتخلص من العقوبة التي لا يستحقها.

واليهود معروف عنهم أنهم يتحايلون علىٰ الواجبات بالإسقاط، وعلىٰ المحرمات بالارتكاب؛ ولكن من ارتكب حيلة للتوصل إلىٰ فعل واجبٍ ممنوع من فعله، أو كان مجبراً علىٰ محرم، فارتكب حيلة ليتخلص منه؛ فهذه حيلة شرعية ليس فيها إشكال.

«فَلَمْ يَعْذُرِ اللهُ مِنْ هَؤُلاَءِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ مَعَ كَوْنِ قَلْبِهِ مُطْمَئِنًّا بِالإِيمَانِ، وَأَمَّا غَيْرُ هَذا؛ فَقَدْ كَفَرَ بَعْدَ إِيمَانِه، سَوَاء فَعَلَهُ خَوْفًا، أَوْ طَمَعًا، أَوْ مُدَارَاةً لأَحَدٍ، أَوْ مَشَحَّةً بِوَطَنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ فَعَلَهُ عَلَىٰ وَجْهِ الْمزْحِ، أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَغْرَاضِ؛ إلاَّ المُــكْرَهَ، فَالآيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ هَذَا مِنْ جِهَتَيْنِ:

الأُولَىٰ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾. فَلَمْ يَسْتَثْنِ إِلا المُكْرَه، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يُكْرَهُ إِلا عَلَىٰ العَمَلِ والْكَلاَمِ والْفِعْلِ، وَأَمَّا عَقِيدَةُ الْقَلْبِ؛ فَلاَ يُكْرَهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ»:

يعني: أنه قد يُكره الإنسان علىٰ النطق، وقد يكره علىٰ عمل؛ ولكن لا يمكن أن يكره علىٰ تغيير عقيدته.

«**الثَّانِيَةُ: قَوْلُهُ- تَعَالَىٰ-: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ﴾** [النحل: ١٠٧]، **فَصَرَّحَ أَنَّ هَذا الكُفْرَ والْعَذَابَ لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ الاعْتِقَادِ أوِ الْجَهْلِ أو الْبُغْضِ لِلدِّيْنِ، أَوْ مَحَبَّةِ الْكُفْرِ، وَإِنَّمَا سَبَبُهُ أَنَّ لَهُ فِي ذَلِكَ حَظًّا مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا، فآثَرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ، وَاللهُ أَعْلَمُ**»: يعني: أنه لا يلزم أن يكون سبب كفر هذا الذي ارتد هو البغض للدين، أو محبة الكفر، أو بغض ما جاء في الدين، أو بغض ما جاء به الرسول ﷺ، وغير ذلك من المكفرات؛ بل قد يكون سببه أن له في ذلك حظًا من حظوظ الدنيا، فقد يقول: أنا ما أبغضت الله، ولا رسوله، ولا الدين ولا شرائع الدين، وإنما أنا محتاج، فما المانع أن أقول هذه الكلمة، وأكسب المال، وأتعيَّش أنا وأولادي؟ فنقول: لا ينفعه هذا؛ لأن له في ذلك حظًّا من حظوظ الدنيا قد آثره علىٰ الدين.

وصلَّىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلّم.

# ثبت المصادر والمراجع

١. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء: لأبي العباس تقي الدين أحمد بن علي الحسيني العبيدي المقريزي، ت: ٨٤٥هـ، طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، حققه: جمال الدين الشيال، ومحمد حلمي محمد أحمد.

٢. الإتقان في علوم القرآن: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١هـ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣. إحياء علوم الدين: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: ٥٠٥هـ، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٤. الأذكار: للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت: ٦٧٦هـ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، بتحقيق: عبد القادر الأرنؤوط.

٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني، ت: ٩٢٣هـ، المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، الطبعة السابعة- ١٣٢٣هـ.

٦. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: للعلامة محمد ناصر الدين الألباني، ت:١٤٢٠هـ، طبعة المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، إشراف: زهير الشاويش.

٧. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: للعلمة محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، ت: ١٤٢٠هـ، طبعة المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٨. الأعلام: لخير الدين بن محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، ت: ١٣٩٦هـ، طبعة: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

٩. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ت: ٧٢٨هـ، طبعة: دار عالم الكتب- بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، بتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل.

١٠. ألفية ابن مالك: للإمام أبي عبدالله محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ت: ٦٧٢هـ، طبعة: دار التعاون.

١١. الإمام في معرفة أحاديث الأحكام: للإمام أبي الفتح تقي الدين محمد بن علي وهب، المشهور بابن دقيق العيد، ت: ٧٠٢ هـ، الناشر: دار المحقق للنشر والتوزيع، بتحقيق: سعد بن عبد الله آل حميد.

١٢. الأمثال: للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلَّام الهروي البغدادي، ت: ٢٢٤هـ، طبعة: دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى: ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م، بتحقيق: عبد المجيد قطامش.

١٣. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: للإمام أبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري، ت: ٥٧٧هـ، طبعة: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٤. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف: للإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، ت: ٣١٩هـ، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م.

١٥. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: للحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ، تأليف: أحمد بن محمد شاكر، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت.

١٦. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: للإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن علي ابن الملقن، ت: ٨٠٤هـ، طبعة: دار الهجرة للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، بتحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال.

١٧. البرهان في علوم القرآن: للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ت:٧٩٤هـ، طبعة: مكتبة دار التراث- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٨. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: للحافظ أبي محمد الحارث بن محمد البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة، ت: ٢٨٢هـ، تأليف: أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ت: ٨٠٧ هـ، طبعة: مركز خدمة السنة والسيرة

النبوية – المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، المحقق: حسين أحمد صالح الباكري.

١٩. بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام: للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك ابن القطان، ت: ٦٢٨هـ، الناشر: دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، بتحقيق: الحسين آيت سعيد.

٢٠. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية: للإمام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، ت: ٧٢٨هـ، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ، بتحقيق: مجموعة من المحققين.

٢١. تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: لأبي زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، ت: ٨٠٨هـ، بتحقيق: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨م، بتحقيق: خليل شحادة.

٢٢. تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام: للحافظ أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، طبعة: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: ٢٠٠٣م، بتحقيق: بشار عوَّاد معروف.

٢٣. تاريخ الأمم والملوك: للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: ٣١٠هـ، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ.

٢٤. تاريخ دمشق: الإمام أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر، ت: ٥٧١هـ، طبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م، بتحقيق: عمرو بن غرامة العمروي.

٢٥. تحفة المودود بأحكام المولود: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، طبعة: مكتبة دار البيان- دمشق، الطبعة الأولى: ١٣٩١هـ- ١٩٧١م، بتحقيق: عبد القادر الأرناؤوط.

٢٦. التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع: لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ت: ٧٢٨هـ، طبعة: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة السادسة: ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، بتحقيق: محمد بن عودة السعوي.

٢٧. تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت: ٧٧٤هـ، طبعة: دار طيبة، الطبعة الثانية: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، بتحقيق: سامي بن محمد سلامة.

٢٨. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: لأبي عبد الله محمد بن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ت: ٦٠٦هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٠هـ.

٢٩. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن: للإمام أبي جعفر محمد بن جرير غالب الطبري، ت: ٣١٠هـ، طبعة: دار هجر، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م، بتحقيق: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي.

٣٠. تفسير القرآن العظيم: للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم، ت: ٣٢٧هـ، طبعة: مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: ١٤١٩هـ، بتحقيق: أسعد محمد الطيب.

٣١. تقريب التهذيب: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٠هـ، بتحقيق: محمد عوامة.

٣٢. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: للإمام أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، طبعة: مؤسسة قرطبة- مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، بتحقيق: حسن بن عباس بن قطب.

٣٣. تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي، ت: ٧٤٤هـ، طبعة: دار أضواء السلف- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، بتحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله، وعبد العزيز بن ناصر الخباني.

٣٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للحافظ أبي الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزي، ت: ٧٤٢هـ، طبعة مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م، بتحقيق: بشار عواد معروف.

٣٥. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، ت: ٧٤٩هـ، بتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، طبعة: دار الفكر العربي، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٣٦. الثقات: للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان، ت: ٣٥٤هـ، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى:١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٣٧. ثلاثة الأصول وأدلتها - وشروط الصلاة - والقواعد الأربع: للإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ت: ١٢٠٦هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

٣٨. جامع الرسائل: للإمام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، ت: ٧٢٨هـ، طبعة: دار العطاء - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، بتحقيق: محمد رشاد سالم.

٣٩. الجامع الكبير= سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة، ت: ٢٧٩هـ، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٩٨ م، بتحقيق د. بشار عواد معروف.

٤٠. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن الخطيب البغدادي، ت: ٤٦٣هـ، طبعة: مكتبة المعارف - الرياض، بتحقيق: محمود الطحان.

٤١. الجرح والتعديل: للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، ت: ٣٢٧هـ، الناشر: دار الكتب العلمية مصورة عن الهندية، الطبعة الأولى.

٤٢. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، مطبعة المدني- القاهرة.

٤٣. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: لأحمد بن محمد الصاوي الخلوتي المالكي، ت: ١٢٤١هـ، طبعة: دار الفكر- بيروت.

٤٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ت: ٤٣٠هـ، طبعة: دار السعادة - مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤٥. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر بن عمر البغدادي، ت: ١٠٩٣هـ، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: وشرح: عبد السلام محمد هارون.

٤٦. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، ت: ٧٥٦هـ، طبعة: دار القلم، دمشق، بتحقيق: د. أحمد محمد الخراط.

٤٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت: ٩١١هـ، طبعة: دار هجر- مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، تحقيق: مركز هجر للبحوث.

٤٨. الدرر السنية في الأجوبة النجدية: مؤلفه علماء نجد، جمعه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٤٩. ذم الدنيا: للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبي الدنيا، ت: ٢٨١هـ، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، بتحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا.

٥٠. ذيل طبقات الحنابلة: للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: ٧٩٥هـ، طبعة: مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، بتحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين.

٥١. رحلة ابن بطوطة (تحفة النظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار): لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الطنجي ابن بطوطة، ت: ٧٧٩هـ، طبعة: أكاديمية المملكة المغربية- الرباط، ١٤١٧هـ.

٥٢. الرد على البكري: للإمام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي، ت: ٧٢٨هـ، طبعة: مكتبة الغرباء الأثرية- المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ، بتحقيق: محمد علي عجال.

٥٣. الرسالة القشيرية: لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، ت: ٤٦٥هـ، طبعة: دار المعارف- القاهرة، بتحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف.

٥٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي المعالي محمود شكري بن عبدالله الألوسي، ت: ١٣٤٢هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥٥. زهر الآداب وثمر الألباب: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، ت: ٤٥٣هـ، الناشر: دار الجيل- بيروت.

٥٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة: للعلامة محمد ناصر الدين بن الألباني، ت:١٤٢٠هـ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الرياض، الطبعة الأولى.

٥٧. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: للعلامة أبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، ت: ١٤٢٠هـ، طبعة: دار المعارف- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٥٨. السنة: لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، طبعة دار الراية- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، بتحقيق: د. عطية الزهراني.

٥٩. السنن الكبرى: للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: ٤٥٨هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٢٤هـ، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا.

٦٠. السنن الكبرى: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: ٣٠٣هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، وأشرف عليه: شعيب الأرناؤوط.

٦١. السنن: للإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، ت: ٣٨٥هـ، طبعة: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحسن عبد المنعم شلبي، وعبد اللطيف حرز الله، وأحمد برهوم.

٦٢. السنن: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، ت: ٢٧٥هـ، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى: ١٤٣٠هـ، بتحقيق: شعَيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي.

٦٣. السنن: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه، ت: ٢٧٣هـ، دار إحياء الكتب العربية –، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٦٤. السنن: للإمام أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت: ٢٥٥هـ، طبعة: دار البشائر- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م، بتحقيق: نبيل هاشم الغمري.

٦٥. سير أعلام النبلاء: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، بتحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف: الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٦٦. السير والمغازي: للإمام محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم المدني، ت: ١٥١هـ، طبعة دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، بتحقيق: سهيل زكار.

٦٧. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، ت: ٤١٨هـ، طبعة: دار طيبة – السعودية، الطبعة الثامنة: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، بتحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.

٦٨. شرح الكوكب المنير: للإمام أبي البقاء تقي الدين محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، ت: ٩٧٢هـ، طبعة: مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، بتحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد.

٦٩. شرح المفصل: لأبي البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، ت: ٦٤٣هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١م.

٧٠. شعب الإيمان: للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت: ٤٥٨هـ، طبعة مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، بتحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، وإشراف: مختار أحمد الندوي.

٧١. صحيح ابن خزيمة: للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت:٣١١هـ، طبعة المكتب الإسلامي- بيروت، بتحقيق: محمد مصطفى الأعظمي.

٧٢. صحيح الأدب المفرد: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ت: ٢٥٦هـ، طبعة: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، بتحقيق وتعليق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

٧٣. صحيح البخاري = الجامع الصحيح: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ت: ٢٥٦هـ، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

٧٤. صحيح مسلم= المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، ت: ٢٦١هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٧٥. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: للإمام شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد السخاوي، ت: ٩٠٢هـ، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت.

٧٦. طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ت: ٧٧١هـ، طبعة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ، بتحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو.

٧٧. الطبقات الكبرى = لواقح الأنوار في طبقات الأخيار: لأبي محمد عبد الوهاب بن أحمد الشَّعْراني، ت: ٩٧٣هـ، طبعة: مكتبة محمد المليجي الكتبي- مصر، عام النشر: ١٣١٥هـ.

٧٨. طرح التثريب في شرح التقريب: للحافظ أبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، ت: ٨٠٦هـ، وأكمله ابنه: أبو زرعة ولي الدين أحمد، ت: ٨٢٦هـ، الطبعة: المصرية القديمة.

٧٩. العزلة: للإمام أبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم البستي، المعروف بالخطابي، ت: ٣٨٨هـ، المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ.
٨٠. العلل الكبير: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن الترمذي، ت: ٢٧٩هـ، رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي، طبعة: عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ، بتحقيق: صبحي السامرائي، وأبو المعاطي النوري، ومحمود خليل الصعيدي.
٨١. العلل الواردة في الأحاديث النبوية: للإمام أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني، ت: ٣٨٥هـ، بتحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، طبعة: دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨٢. العلل: للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حاتم الحنظلي الرازي، ت: ٣٢٧هـ، الناشر: مطابع الحميضي، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، بتحقيق: فريق من الباحثين، بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد وخالد بن عبد الرحمن الجريسي.
٨٣. العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها: للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد ابن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، طبعة: مكتبة أضواء السلف- الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
٨٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للإمام بدر الدين محمد محمود بن أحمد العيني، ت: ٨٥٥هـ، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٨٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود: للعلامة محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، ت: ١٣٢٩هـ، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الثانية: ١٤١٥هـ.
٨٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢هـ، الناشر: دار السلام، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
٨٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ت: ٧٩٥هـ، طبعة: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، بتحقيق: جماعة من المحققين.
٨٨. الفتوى الحموية الكبرى: لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ت: ٧٢٨هـ، الناشر: دار الصميعي - الرياض، الطبعة الثانية: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، بتحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري.

٨٩. الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق: للإمام أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الشهير بالقرافي، ت: ٦٨٤هـ، طبعة: عالم الكتب.

٩٠. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، ت: ٤٨٧هـ، طبعة: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى: ١٩٧ م، بتحقيق: إحسان عباس.

٩١. الفِصَل في الملل والأهواء والنحل: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ت: ٤٥٦هـ، طبعة: مكتبة الخانجي- القاهرة.

٩٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير: لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي، ت:١٠٣١هـ، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى- مصر، الطبعة الأولى: ١٣٥٦هـ.

٩٣. قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق: لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، ت: ٧٢٨هـ، طبعة دار العاصمة- الرياض، الطبعة الثانية: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، بتحقيق: سليمان بن صالح الغصن.

٩٤. القراءة خلف الإمام: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ت: ٢٥٦هـ، حققه وعلق عليه: الأستاذ فضل الرحمن الثوري، الناشر: المكتبة السلفية، الطبعة الأولى: ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩٥. القصيدة النونية: للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ت: ٧٥١هـ، طبعة: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة الثانية: ١٤١٧هـ.

٩٦. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت:٧٤٨هـ، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن- جدة، الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ ـ١٩٩٢م، بتحقيق: محمد عوامة، وأحمد محمد نمر الخطيب.

٩٧. الكامل في التاريخ: لأبي الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن الأثير الجزري، ت: ٦٣٠هـ، طبعة: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، بتحقيق: عمر عبد السلام تدمري.

٩٨. الكامل في ضعفاء الرجال: للحافظ أبي أحمد بن عدي الجرجاني، ت: ٣٦٥هـ، الناشر: الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ، بتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض.

٩٩. الكتاب: للإمام أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه، ت: ١٨٠هـ، طبعة: مكتبة الخانجي- القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون.

١٠٠. كشف الشبهات: للإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، ت: ١٢٠٦هـ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ.

١٠١. كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح: لأبي المعالي صدر الدين محمد بن إبراهيم المُناوي، ت: ٨٠٣هـ، طبعة: الدار العربية للموسوعات- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، بتحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم.

١٠٢. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري: للإمام شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني، ت: ٧٨٦هـ، طبعة: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٠٣. المجالسة وجواهر العلم: لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، ت: ٣٣٣هـ، طبعة: جمعية التربية الإسلامية- البحرين، ودار ابن حزم- بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ، بتحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

١٠٤. المجتبى من السنن= السنن الصغرى: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: ٣٠٣هـ، دار التأصيل- القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٠٥. مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، ت: ٥١٨هـ، طبعة: دار المعرفة - بيروت، بتحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد.

١٠٦. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للحافظ أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ت: ٨٠٧هـ، طبعة: مكتبة القدسي- القاهرة، عام: ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م، بتحقيق: حسام الدين القدسي.

١٠٧. مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ، طبعة: مجمع الملك فهد- المدينة المنورة، عام: ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

١٠٨. المجموع شرح المهذب: للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ت: ٦٧٦هـ، طبعة: دار الفكر.

١٠٩. المحصول: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الملقب بفخر الدين الرازي، ت:

٦٠٦هـ، طبعة: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة: ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م، بتحقيق: طه جابر فياض العلواني.

١١٠. المحلى بالآثار: للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ت: ٤٥٦هـ، دار الفكر- بيروت.

١١١. المستدرك على الصحيحين: للحافظ لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله الحاكم، ت: ٤٠٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، مقابلة على الطبعة الهندية، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ، بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

١١٢. المستصفى: لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: ٥٠٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، بتحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي.

١١٣. مسند البزار = البحر الزخار: للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار، ت: ٢٩٢هـ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى: من ١٩٨٨م إلى ٢٠٠٩م، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي.

١١٤. المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع: للإمام أبي حاتم محمد بن حبان البُستي، ت: ٣٥٤هـ، طبعة: دار ابن حزم، الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، المحقق: محمد علي سونمز، وخالص آي دمير.

١١٥. المسند: لأبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي، ت: ٣٣٥هـ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ، بتحقيق: محفوظ الرحمن زين الله.

١١٦. المسند: للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، ت: ٢٤١هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:١٤٢١هـ، بتحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرين.

١١٧. المسند: للحافظ أبي يعلى أحمد بن علي الموصلي، ت: ٣٠٧هـ، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٠٤هـ، بتحقيق: حسين سليم أسد.

١١٨. المصنف: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، ت: ٢٣٥هـ، الناشر: دار القبلة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ، بتحقيق: محمد عوامة.

١١٩. المصنف: للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن الحميري الصنعاني، ت: ٢١١هـ، الناشر: المجلس العلمي- الهند، الطبعة الثانية: ١٤٠٣هـ، بتحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.

١٢٠. معجم ابن الأعرابي: لأبي سعيد أحمد بن محمد ابن الأعرابي البصري الصوفي، ت: ٣٤٠هـ، طبعة: دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودي، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، بتحقيق وتخريج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني.

١٢١. المعجم الأوسط: للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، ت: ٣٦٠هـ، طبعة: دار الحرمين - القاهرة، بتحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

١٢٢. المعجم الكبير: للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: ٣٦٠هـ، دار الناشر: مكتبة ابن تيمية -القاهرة، الطبعة الثانية، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

١٢٣. معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ: للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، ت: ١٤٢٩هـ، طبعة: دار العاصمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٢٤. معجم ديوان الأدب: لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، ت: ٣٥٠هـ، طبعة مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر- القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣ م، بتحقيق: أحمد مختار عمر.

١٢٥. معنى لا إله إلا الله: للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي، ت: ٧٩٤هـ، طبعة: دار الاعتصام- القاهرة، الطبعة الثالثة: ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، المحقق: علي محيي الدين علي القرة داغي.

١٢٦. المغني في أبواب التوحيد والعدل: للقاضي أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، ت: ٤١٥هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٧. المغني: للإمام أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، ت: ٦٢٠هـ، مكتبة القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٢٨. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: للإمام أبي الخير شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، ت: ٩٠٢هـ، الناشر: دار

الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٥ هـ- ١٩٨٥م، بتحقيق: محمد عثمان الخشت.

١٢٩. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: للحافظ أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، ت: ٥٩٧هـ، طبعة: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، بتحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا.

١٣٠. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للإمام أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت: ٦٧٦هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٩٢هـ.

١٣١. الموافقات: للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: ٧٩٠هـ، طبعة: دار ابن عفان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، بتحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.

١٣٢. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: ٧٤٨هـ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م، بتحقيق: علي محمد البجاوي.

١٣٣. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار: للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: ٨٥٢ هـ، الناشر: دار ابن كثير، الطبعة الثانية: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، بتحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي.

١٣٤. النهاية في غريب الحديث والأثر: للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد الجزري ابن الأثير، ت: ٦٠٦هـ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي.

١٣٥. نيل الأوطار: للعلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: ١٢٥٠هـ، طبعة: دار الحديث- مصر، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، بتحقيق: عصام الدين الصبابطي.

# فهرس المحتويات

| المحتويات | الصفحة |
|---|---|


تقديم معالي الشيخ الدكتور عبد الكريم بن عبد الله الخضير ........................ ٦

كلمة مؤسَّسة معالم السنن .......................................... ٧

المقدمة ................................................................ ١٠

[معنى التوحيد، وأهميتُه] ................................................ ١٤

[معنى: لا إله إلا الله، وموقف الكفار منها] ............................. ٣٣

[الجواب المجمل على أهل الباطل] ........................................ ٥٦

[الجواب المفصل عن شبهات أهل الباطل] ................................... ٦٤

- [الشبهة الأولى: نفي المخالف الشرك عن نفسه] ........................ ٦٤
- [الشبهة الثانية: نزول الآيات فيمن يعبد الأصنام خاصة] ................. ٦٦
- [الشبهة الثالثة: الاستغاثة بالأولياء رجاء شفاعتهم] ..................... ٧١
- [الشبهة الرابعة: الدعاء ليس عبادة] ................................... ٧٤
- [الشبهة الخامسة: الرمي بإنكار الشفاعة] ................................ ٧٨
- [الشبهة السادسة: الاستغاثة طلب للشفاعة الممنوحة من الله] ........... ٨٣
- [الشبهة السابعة: الالتجاء إلى الصالحين ليس شِركًا] ....................... ٨٦
- [الشبهة الثامنة: قَصْر الشِّرك على عبادة الأصنام] ............................ ٨٨

۞ [الشبهة التاسعة: شِرْك قريش كان في زعمهم أن الملائكة بنات الله] .....٩٢

۞ [الشبهة العاشرة: أن الذين نزل فيهم القرآن أنكروا النبوة والبعث بخلاف من يستغيث بالأولياء].....١٠٣

۞ [الشبهة الحادية عشرة: حقن الدم بمجرد نطق الشهادة] .....١٢١

۞ [الشبهة الثانية عشرة: الاحتجاج بحديث الشفاعة الكبرىٰ] .....١٢٧

۞ [الشبهة الثالثة عشرة: الاحتجاج بقول جبريل لإبراهيم: ألك حاجة؟] . ١٣٢

[الخاتمة: التوحيد بالقلب واللسان والعمل].....١٣٦

**ثبت المصادر والمراجع** .....١٤٥

**فهرس المحتويات**.....١٥٩